من خطب
فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب

جمع وإعداد وتعليق

أ.د. بـــدر محمـــد ملـك أ.د. لطيفة حسين الكندري

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

(٢)

من خطب
فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب

جمع واعداد وتعليق

أ.د. بدر محمد ملك أ.د. لطيفة حسين الكندري

الطبعة الأولى

1441هـ - 2020م

جميع الحقوق محفوظة

موقع أ.د. بدر ملك http://www.badermalek.com

موقع أ.د. لطيفة الكندري https://latefah.net/

المحتويات

اهداء	٦
المقدمة	٧
منهجنا في اعداد الإصدار الراهن	١٠
الفصل الأول: لمحة عن حياة الشيخ ونماذج من انتاجاته الفكرية	١٣
السيرة الذاتية للشيخ خليل محمد أبو طالب	١٤
الشيخ خليل في دولة الكويت	١٦
شخصية الشيخ بين الأصالة والمعاصرة	١٩
قبسات من كلمات الشيخ خليل	٢٠
من مرويات الشيخ	٢٥
خليل أبو طالب على نهج الغزالي	٢٩
الشافعي يوثق صداقتنا	٣١
قصيدة الشيخ خليل عن الشافعي	٣٤
موضوع القصيدة: الشافعي مربياً ومعلماً	٣٥
عظمة القرآن: تعليق الشيخ خليل على بحث الطالبة لطيفة الكندري	٣٧
رسالة شخصية من الشيخ خليل إلى بدر ملك	٤٠
الفصل الثاني : خطب الجمعة	٤٢
في رحاب خطب الجمعة	٤٣
أسلوب الشيخ الخطابي	٤٤

نماذج من الخطب المنبرية للشيخ خليل أبوطالب	٤٦
تداووا يا عباد الله	٤٦
طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم	٥٧
الأخوة الإسلامية	٥٩
روح الإسلام العمل	٦١
الرياء يحبط العبادة ويفسد العمل	٦٤
الزنا	٦٧
طاعة الأم	٧٠
الحرية ثمرة الكفاح	٧٢
شريعة الإسلام والأخلاق	٧٥
حادث الإسراء	٨١
حادث المعراج	٨٥
[قصة المعراج في الصحيحين]	٨٩
الصلاة	٩٣
شهر الله المحرم	٩٨
فضل ليلة النصف من شعبان	١٠٠
الصيام الصحيح المقصود في الإسلام	١٠٥
ليلة القدر	١٠٩
عيد الفطر	١١٣

الصدقة	١١٧
الحج إلى بيت الله الحرام	١٢٢
الرحمة	١٣٠
الوفاء	١٣٤
الأمانة	١٣٧
الرشوة (١)	١٣٩
الرشوة (٢)	١٤٢
الكذب	١٤٤
الإخلاص	١٤٧
عزة النفس	١٥٠
الصدق	١٥٢
الفصل الثالث: ألبوم الذِّكريات ونماذج من خط الشيخ	١٦٣
نبذة عن الباحث : أ.د. بدر محمد أحمد ملك	١٧٤
نبذة عن الباحثة : أ.د. لطيفة حسين علي الكندري	١٧٥
ثبت لعدد من المراجع المختارة	١٧٦

اهداء

إلى روح الشيخ الأزهري: خليل محمد أبوطالب رحمه الله تعالى، وإلى كل إنسان يسعى جاهدا للتزكية والتنمية، وإلى كل شخص يشتاق إلى نشر ضياء الفضائل، ويؤمن بالتربية الإسلامية المعتدلة منهجا للإصلاح، ومخرجا من الأزمات، وموئلا لتعزيز الثوابت وبث الفضائل الإنسانية.

اللهم نوِّر قبر الشيخ خليل وأسكنه جنانك وأجزل له في العطاء بلا حدود...يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد... اللهم بارك له في ذريته، وأكرمها بالعفو والعافية ومحبة الخيرات والعلوم ومجالسها ومدارسها في ضوء قوله سبحانه {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114].

لقد رحلت الأجساد وبقيت الذكريات نزهة للألباب؛ تمد العقل بمدارج ومعارج التفكر من جهة، وتمد الروح بدفقات الوداد والدعاء والإيمان والعرفان والامتنان ممزوجة بالخشوع والابتهال والضراعة من جهة أخرى.

من الأسرار الرحمانية التي قد يغفل عنها معاشر البشر أن الدعاء المسْتَجَاب من دعائم المحبة، ومن علامات المودة. لا ريب أن الدعاء الصادق قادر على اختراق الآفاق، وتخطي الزمان، والتواصل مع عوالم لا نفقه مساراتها.

المقدمة

قال جل ثناؤه {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)} [فصلت: 33].

من وحي ميراث فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب رحمه الله تعالى (المتوفى عام 2000م) نقدم هذا الإصدار الذي يجمع بين دَفّتيه ذكرياتنا ومراسلاتنا وكتاباتنا وانطباعاتنا ومشاعرنا نحو معلم فاضل، وشيخ وقور ترك مجموعة رسائل شخصية، وخطب منبرية غير منشورة. عُرف الشيخ خليل محمد أبو طالب بالصلاح وسعة العلم وحسن التعامل مع الناس، وشغل نفسه بتوثيق أواصر العلاقات الإيمانية والاجتماعية. قدّم الشيخ رحمه الله الكثير من خطب الجمعة في بلده مصر الحبيبة، ودول عربية أخرى، وتألق في مسجد مركز الطب الإسلامي في دولة الكويت بمنطقة الصباح الصحية، وبالتزامن كان إماما لمسجد مستشفى الولادة في الثمانينيّات من القرن الماضي. وعلى أرض الكويت الطيبة شارك معنا بتأليف كتاب السبق التربوي وهو كتاب موسوعي عن الإمام الشافعي.

وبعد عودة الشيخ خليل إلى موطنه في مصر، وذهابنا للدراسة في أمريكا ظل يراسلنا ونراسله من حين لآخر، وبصورة متقطِّعة. كان رحمه الله رمزا مضيئا من رموز الوفاء والإخاء والأستاذية، ولقد غدت ذكرياته تنطوي على توجيهات مباركة. إن تدوين ذكرياتنا الشخصية، واقتناص الفوائد، وتسجيل مشاعرنا الإنسانية من أنصع صفحات التواصل بين الأجيال عبر العصور.

ومن صور الكرم والسماحة المفعمة بالإنسانية أن أسرة الشيخ خليل أبو طالب خصتنا ببعض النسخ الأصلية لبعض كتابات الشيخ خليل المتفرقة في أوراق وقصاصات ورقية صغيرة كما أهدتنا مجموعة من الصور الشخصية للشيخ في مناسبات وأوقات

متفرقة. تعكس الصور الفوتوغرافيّة شخصية الشيخ خليل الاجتماعية الشغوفة بحضور المناسبات الاجتماعية والدينية وتأدية واجبه باعتباره واعظا دينيا.

وهنا، وفي هذا المقام، نستعرض بعض الخطب المنبرية، والصور الفوتوغرافيّة من أجل رسم صورة صادقة عن هذه الشخصية التي زايلت الوجود ولكن بصماتها الصالحة باقية بعون الرحمن. قال جل ثناؤه {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)} [الرعد: 17].

من حق هذا الأستاذ الجليل أن نخدم تراثه، وننشر علومه، فجاء هذا الكتاب الموجز في محاولة لتحقيق ذلك المقصد العلمي. تتضمن الأوراق التي بين أيدينا – في هذا الكتاب– معلومات وملاحظات رئيسة أُعدّت وكُتبت على نحو متفرق وعلى فترات زمنيَّة بعيدة بهدف الاستعانة بها خلال خطبة الجمعة علما بأن الشيخ خليل صاحب ذاكرة قوية وقدرة عالية على الاسترسال في الكلام مؤيدا قوله بالحجج والدلائل. تعود بعض الخطب المنشورة في هذا الكتاب إلى فترة الستينيات من القرن العشرين مما يزيد من قيمتها التاريخية فهي تقدم لنا في مطاويها نموذجا للذهنية الدينية في القرن الماضي، وتكشف عن حرص خطباء المساجد على الاحتفاظ بأوراقهم وتدوين المواعظ كما تبين مدى اضطلاعهم بواجباتهم الوظيفيّة.

قد تختلف الأوضاع العربيّة الدينية والسياسية والاجتماعية في الستينيات والثمانينيّات عنها في الوقت الراهن إلا أن القارئ الكريم سيلاحظ في ثنايا اصدارنا هذا اختلافات عديدة في مقدار زكاة الفطر قديما، ودور الخطباء أثناء العدوان الثلاثي على مصر، وما العادات الغريبة لدى البعض أثناء صيام شهر رمضان الفضيل، والأحاديث النبوية المشهورة على ألسنة خطباء المساجد يومئذ.

إننا نقدم هذا الجهد المتواضع وندرك تماما أن هذا العمل على سبيل التِّذكار يحتاج للمزيد من الجهد والضبط والتدقيق ولكن كرم القارئ سيجعله يحسن الظن بنا ويتجاوز عن تقصيرنا وهفواتنا وكما كان الشيخ خليل أبو طالب يقول "فإن رأيت خيرا فمن الله

وحده وإن عثرت على سقطة فمنا ومن الشيطان وليكن الصفح والرضا كرما منك، وعين الرضا عن كل عيب كليلة".

آن الأوان لهذه الذكريات والمراسلات والأوراق والقصاصات المبعثرة القابعة في ظلمة الأدراج – وبعضها منذ الستينات من القرن الماضي– أن تظهر إلى النور وتنهض لممارسة دورها الدعوي في التثقيف الديني على أمل تخليد طرف من ميراث عالم جليل.

يمكن تلخيص رسالة الشيخ خليل محمد أبوطالب بأنه عمل بكل وسعه على تمتين علاقة الفرد بدينه ونشر الكلمة الطيبة، والعبارة الأصيلة، واللغة الفصيحة، والحكمة الوضاءة، والأفكار السديدة، والنصائح الصائبة. إن الإنسان اليوم يعاني من الطغيان المادي والأمراض، وفي كل عصر يبحث عن الأمن الإيماني الذي يتجاوب بطلاقة مع نداء الفطرة بعيدا عن بيداء الشك والالحاد والضياع والغفلة، والسلوكيات المنحرفة، والمادية الجارفة.

لقد ساق الشيخ في بُوتَقَة خطبه المنبرية طائفة من الآيات القرآنية الكريمة وحشد مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة بغية غرس الفضائل وشرح القيم والآداب الفاضلة. ولأن العلم من شروط التوحيد كان لزاما السعي نحو طلبه وبث نوره في الخطاب الدعوي ولا ريب أن الحماسة بلا معرفة نار بلا نور كما قيل.

لقد عاش الشيخ خليل محمد أبوطالب في حركة علمية ناشطة غطت الكثير من الميادين الدعوية واقتطع من وقته الثمين من أجل إجابة أسئلة السائلين، والرد على استفسارات الحائرين وما كلَّت عزيمتُه، ولا ضَعُفت همته؛ فعل هذا عن طواعية واقتناع وحب في خدمة الناس لوجه الله جل ثناؤه... فكان متقنا في عمله، ومحسنا في عطائه.

رحم الله شيخنا وأستاذنا الجليل العالم الأزهري الوقور الشيخ خليل محمد خليل أبوطالب الذي كان شديد الحرص على توصيل العلم، وتأصيل الفضائل في كل فضاء عاش فيه، ووصل إليه، واستفاد منه. اللهم أسكنه الفردوس الأعلى مع الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

منهجنا في اعداد الإصدار الراهن

يتضمن الاصدار الحالي مجموعة رسائل شخصية وتوجيهات إسلامية من خطب الجمعة تعود إلى فترة الثمانينيات وأخرى في الستينات من القرن الماضي استنادا لأوراق متفرقة تركها الشيخ الأزهري: خليل محمد خليل أبو طالب (1933 - 2000م) وفيما يلي ملاحظات منهجية حول الاصدار الراهن مع الإشارة إلى دورنا في جمعه وتنسيقه وإخراجه والتعليق عليه:

1. ترتيب الكتاب كله جاء حسب اجتهاداتنا وكذلك الأمر بالنسبة لترتيب خطب الجمعة. الأوراق التي لدينا متفرقة وتنقصها الكثير من البيانات الموثقة عن تاريخ كتابتها.
2. **جميع الهوامش وما فيها من استطرادات من إعدادنا.**
3. قمنا بوضع أرقام الآيات القرآنية مع وضع اسم السورة.
4. يتساهل كثير من الخطباء وأئمة المساجد في شروط رواية الأحاديث النبوية في الترغيب والترهيب خاصة فيما يتعلق بالأخلاق والحث على الفضائل. آمن الشيخ خليل محمد أبوطالب بإمكانية ايراد الأحاديث الضعيفة في باب فضائل الأعمال وفق الضوابط. وعلى عكس هذا التصور هناك طائفة ترى أن الأحاديث الصحيحة كافية لإثبات مكارم الأخلاق ولا داعي للاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة[1] وهو الاتجاه الذي نميل إليه ونبني عليه على قدر الإمكان.

---

[1] وعن الحديث المَوْضُوع وَأَسْبَاب الوَضْعِ ورد في كتاب علوم الحديث ومصطلحه لمؤلفه صبحي الصالح (1/ 263): الحديث "الموضوع هو الخبر الذي يختلقه الكذابون وينسبونه إلى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – افتراء عليه. وأكثر ما يكون هذا الاختلاق من تلقاء نفس الوضاع، بألفاظ من صياغته وإسناد من نسجه. وقد يلجأ بعض المفترين، إذا لم يتح لهم خيال خصيب يقدرهم على الوضع إلى اصطناع إسناد مكذوب ينتهون به إلى النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واضعين في فيه حكمة رائعة، أو كلمة جامعة، أو مثلاً موجزًا. وَلَقَدْ قِيلَ لِلإِمَامِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ المبَارَكِ: هَذِهِ الأَحَادِيثُ المَوْضُوعَةُ؟ فَقَالَ: «تَعِيشُ لَهَا الجَهَابِذَةُ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]» (3). وقد عاش لها الجهابذة حَقًّا، فوضعوا منهجًا علميًا دقيقًا، يميزون به الرواية الصحيحة من المختلقة المفتراة".

5. كثير من خطب الشيخ خليل تركز على الأحاديث النبوية الطويلة (من مثل الأحاديث المرتبطة بالإسراء والمعراج) ولم يحرص الشيخ على انتقاء الأحاديث الطويلة من الصحيحين (البخاري ومسلم) بل كان ينتقي الأحاديث دون التقيد بهذا الشرط أحيانا.

6. هذه الأوراق نواة خطب منبرية، فأساس هذه الأوراق قصاصات كتبها الشيخ لنفسه ليستفيد منها هو شخصيا على المنبر أثناء تقديم خطبة الجمعة ومن هنا قد لا نجدها متكاملة الأركان أحيانا، وربما كانت قصيرة جدا تنقصها عناصر الخطبة الكاملة.

7. **إن اعتزاز الشيخ خليل بأداء رسالته الدينية، في المساجد وخارجها، جعله يحتفظ بأوراقه منذ بداية الستينيَّات من القرن الماضي إلى تاريخ وفاته عام (2000م) وهذا محل تقديرنا، وكأن الله أراد لهذا الشيخ أن يضع بصمته الدعوية بعد الفراق عبر هذه الأوراق، ولله في خلقه شئون.**

8. ما بين المعقوفتين [ ] من زياداتنا سواء في الهامش أو في متن الكتاب.

9. قولنا [وفي الأثر] بمعنى أننا لم نعثر على نص الحديث في كتب السنة النبوية المعتمدة أو أن هناك من تكلم في صحة الحديث.

10. اعتمدنا على موقع المحدث لاستخراج الأحاديث النبوية والتعليق عليها كما رجعنا -بصورة أكبر- إلى برنامج المكتبة الشاملة السعودية، وأحيانا إلى موقع الدرر السنية وهي منصات عصرية ذات قيمة علمية للمهتمين بالعلوم الشرعية والدعوية.

11. تتبعنا بعض الكلمات الغريبة وقدمنا شرحا لها.

12. من منطق "ما لا يُدْرك كُلُّه لا يُترك جُلُّه"، لم ننشر جميع الخطب والأوراق التي بحوزتنا واكتفينا بباقة منها، و"حَسْبُك من القلادة ما أحاط بالعُنُق".

13. حرصنا قدر الإمكان على اقتناص الفوائد التربوية من فكر الشيخ خليل أبوطالب لأنها من صلب اهتماماتنا، وصميم تخصصنا في أصول التربية الإسلامية.

14. جميع الأوراق التي لدينا بقلم الشيخ خليل محمد أبوطالب ترسخ مكارم الأخلاق مثل الصدق والإخلاص وسلامة الصدر من الأحقاد وتنقية الباطن مع التركيز على أركان الإسلام، وركائز الإيمان، والتذكير بأهمية التربية والتعليم. تبدأ قصة التربية الذاتية الاستباقية من تنقية الذات أو على حد تعبير محمد الغزالي "إن مصيبتنا نابعة من أنفسنا وحدها، وما لم تتغير النفوس فلن يتغير ما بنا. إذا كنا راضين عن أنفسنا – وتلك أحوالنا – فستبقى هذه الأحوال حولنا كما يبقى الظل الأعوج مع العود الأعوج". قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: 11].

15. حاولنا أن نتفحص كثير من عبارات الشيخ خليل أبوطالب فإذا عثرنا على أنها مقتبسة من الآخرين ذكرنا المرجع الأصلي للنص، ولأن الأوراق التي بين أيدينا خطب جمعة لم يحرص الشيخ على ذكر مصدر النصوص المقتبسة، ولم يقم الشيخ بتوثيق الشواهد التي يستعين بها فالأوراق أحيانا مجرد رؤوس أفكار غير منتظمة لبناء خطبة الجمعة.

الفصل الأول: لمحة عن حياة الشيخ ونماذج من انتاجاته الفكرية

الفصل الأول: لمحة عن حياة الشيخ ونماذج من انتاجاته الفكرية

السيرة الذاتية للشيخ خليل محمد أبو طالب

- ولد الشيخ خليل محمد أبوطالب في مصر في تاريخ ٢٢-٦-١٩٣٣ في مدينة ملوي، محافظة المنيا.
- حصل على شهادة الثانوية الأزهرية.
- حصل على العالمية من كلية أصول الدين في الأزهر في شهر نوفمبر ١٩٦١ م (جمادي الآخِرة ١٣٨١ هجريا).
- **اشتغل في الأوقاف حوالي ٣٦ سنة، منها حوالي ٧ سنوات كان في دولة الكويت وكان خطيبا في مسجد مركز الطب الإسلامي، وإماما في مسجد مستشفى الولادة.**
- رزقه الله سبحانه ٨ أبناء؛ ٥ ذكور و ٣ إناث.
- **كان الشيخ خليل أبوطالب رحمه الله مدير عام أوقاف المنيا، وإمام الجمعية الشرعية بملوي.**
- عمل بهيئة الأوقاف الليبية في عام (١٣٩٦هـ-١٩٧٦) لمدة سنة.
- زار البحرين بتاريخ (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) لبعض الوقت حيث قام بالإرشاد والوعظ في دولة البحرين.
- اشتغل في الكويت بوظيفة إمام وخطيب من تاريخ ١-٧-١٩٨٢ إلى تاريخ ٣٩-٧-١٩٨٩م.
- والجدير بالذكر أن الشيخ خليل محمد أبوطالب رحمه الله من حفاظ القرآن الكريم، وعاصر العديد من علماء الأزهر[١] الأجلاء ودرس عندهم، وكان شديد الإعجاب

[١] يسجل التاريخ أن (الأزهر) أنشئ في أول عهد الدولة الفاطمية بمصر جامعا باسم (جامع القاهرة، الذى سمى الأزهر فيما بعد) حيث أرسى حجر أساسه في الرابع والعشرين من جمادى الأولى ٣٥٩هـ/٩٧٠م، وصلى فيه الخليفة المعز لدين الفاطمي ثاني خلفاء الدولة الفاطمية صلاة الجمعة الأولى من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م، إيذانا باعتماده الجامع

والفخر بعلمهم وتقواهم ورؤاهم الإصلاحية من جهة، ويستذكر بحماس منقطع النظير تضحياتهم ومساهماتهم الدينية من جهة أخرى.

- وبين أيدينا أوراق من محافظة المنيا – الوحدة المحلية لمركز أبوقرقاص- إدارة المجالس المحلية، وهذه الأوراق تكشف عن الجهود المبذولة بشأن مشروع الأسر المنتجة الذي تخطط له وتشرف عليه وتموله مديرية الشئون الاجتماعية بالمحافظة. لا شك أن مشاركة فضيلة الشيخ خليل أبوطالب في الاشراف على مثل هذه المشاريع في بداية التسعينيات من القرن الماضي تنسجم مع رسالته الدعوية الرامية إلى خدمة المجتمع اقتصاديا.
- وبعد هذا العطاء الزاخر توفي الشيخ خليل محمد أبوطالب في مصر وبين أحبته في منتصف تاريخ 15 أكتوبر عام 2000م رحمه الله تعالى.

الرسمي للدولة الجديدة، ومقرا لنشر المذهب الشيعي في حلقات الدروس التي انتظمت فيه، وبدأها القاضي أبو حنيفة بن محمد القيرواني قاضى الخليفة المعز لدين الله، وتولى التدريس أبناء هذا القاضي من بعده، وغيرهم من علماء المذهب الشيعي، [إلى]جانب علوم أخرى في الدين واللغة والقراءات والمنطق والفلك. وبقيام الدولة الأيوبية في مصر (567هـ) تحركت بكل الجهد لإزاحة المذهب الشيعي وطمس رسوم الدولة الفاطمية، وإحلال مذهب أهل السنة في جامع الأزهر، وفى عدة مدارس أنشئت لتعزيزه ومنافسته في حركته المذهبية والعلمية الجديدة. وفى العصر المملوكي بمصر اتجهت همة السلاطين من المماليك إلى إعمار الجامع الأزهر، وإسباغ الرعاية على علمائه وطلابه بالمنح والهبات والأوقاف، وأتيح للأزهريين المشاركة في النهضة العلمية والاجتماعية والثقافية في الدولة، وتصاعدت هذه المكانة إلى أن كان لهم دور أكثر في توجيه سياسة الحكم. وفى عهد الخلافة العثمانية بتركيا: أنشئ منصب (شيخ الأزهر) في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي). كان التعليم في الأزهر قائما على الاختيار الحر، بحيث يختار الطالب أستاذه والمادة التي يقوم بتدريسها، أو الكتاب الذى يقرؤه لطلابه، ويعرض نصوصه نصًا نصًا، فإذا أتم الطالب حفظه من علم الأستاذ، وأنس من نفسه التجويد تقدم لأستاذه ليمتحنه مشافهة، فإذا أظهر استيعابا ونبوغا منحه الأستاذ إجازة علمية مكتوبة، وكانت هذه الإجازة كافية لصلاحه بأن يشتغل بالتدريس في المدارس أو في المساجد أو في جامع الأزهر نفسه، وظل العمل على ذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر، حيث استعيض عنه بنظام التعليم الحديث، أو بنظام قريب منه بحسب الأحوال. محمد السعدي فرهود، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، ص: 16، باختصار). زخرت المكتبةُ العربية بالكتب النَّفيسة عن مكانة الأزهر ومن الكتب الرصينة عن شيوخ وأبناء الأزهر كتاب: الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين من تأليف محمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح (2007م)، المكتبة الأزهرية للتراث.

الشيخ خليل في دولة الكويت

ازدهرت الكويت بالعلم والفكر على يد علماء من أهل البلاد ومن العديد من الدول العربية، ومن مصر ساهمت كوكبة من الدعاة في نشر العلم الديني من مثل الشيخ أحمد الشرباصي[1] (المتوفى 1400هـ) صاحب كتاب أيام في الكويت، والأزهري: حسن محمد أيوب (المتوفى: 1429هـ) صاحب كتاب الأخلاق في الإسلام.

وفي نفس المسعى ومن خلال نشاطه الوافر نشر الشيخ خليل محمد أبوطالب في حياته المباركة وعبر خطبه ومواعظه علوم القرآن الكريم، وكان الكثير من الدعاة وطلبة العلم وأئمة المساجد في الكويت يتدارسون معه كتاب الله سبحانه وتعالى ويتلقون منه مهارات تلاوة القرآن الكريم وسبل حفظه وذلك إما بصورة فردية أو جماعية، وينهلون من عطاءاته في ميادين علمية عديدة لا سيما في علوم اللغة العربية. أرشد رحمه الله بثبات راسخ وسماحة إلى أهم الكتب الدعوية وحض الشباب على القراءة في الأدب باعتباره حقلا خصبا يصقل العقل مع تحذيره الشديد من الأدب الماجن الذي يهدف إلى إثارة الغرائز الجنسيَّة التي تؤجج أمواج الفتن وتقوم بتعزيز ثقافة التفاهة.

رغم كبر سن الشيخ أثناء تواجده في الكويت وكثرة مشاغله إلا أن عاطفة المحبة الجيّاشة تجاه القراءة والتعليم والحوار لم تنطفئ نورها لدى الشيخ خليل أبوطالب فلقد كان مستمرا في عطائه محبا للحياة المنتجة وكأنَّه شُعْلةُ قَبَس فيصرف وقته بما ينفع الناس، ويَمتَح من ينابيع القرآن الكريم مَتْحًا ليشارك طلبة العلم والمستمعين لخطبة الجمعة. ورغم فارق السن بيننا وبينه إلا أن الشيخ خليل خلال نجح في استيعاب الشباب وبناء علاقات علمية واجتماعية معهم وهذه سمة مهمة لنجاح الدعاة وكل من يشتغل مع النشء وغيرهم في حقل التعليم والإرشاد والقيادة.

---

[1] انظر: وليد المنيس، 2011م، ص 72، الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت. الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين من تأليف محمد عبدالمنعم خفاجي وعلي علي صبح (2007م، ج2، ص 273)، المكتبة الأزهرية للتراث.

كانت إقامة الشيخ خليل في دولة الكويت من أطول السنوات التي قضاها خارج مصر (سبع سنوات تقريبا) إذ كان إماما لمسجد مستشفى الولادة وخطيبا في مسجد الطب الإسلامي[1]. يومها كان مسجد مستشفى الولادة صغيرا يسع لأربعين شخص تقريبا وبجانبه مباشرة غرفة للإمام وأخرى للمؤذن وحول المسجد مزرعة فيها بضعة أشجار من النخيل، وكنا نراه أحيانا يعتني بالحديقة بنفسه.

أما مسجد الطب الإسلامي الذي قدم الشيخ خليل أبوطالب خطبة الجمعة فيه لعدة سنوات فهو من روائع العمارة الإسلامية في الكويت وهو مسجد كبير يسع ألف وخمسمائة مصل؛ ويتصل به مركز طبي وثقافي من ثلاثة أدوار يحوطه بستان أنيق بأحواضه المزروعة، وممراته المرصَّعة بالرخام.

وفي دولة الكويت أيضا ساهم الشيخ خليل مع أ.د. بدر محمد ملك في تأليف كتاب **السبق التربوي في فكر الإمام الشافعي** (1989) والكتاب – يتضمن أكثر من 400 صفحة من الحجم المتوسط - متوفر بأكمله على شبكة الإنترنت في موقع بدر ملك http://www.badermalek.com . لقد ساهم الشيخ خليل في تأليف كتاب "السبق التربوي" الذي استغرق عدة سنوات وهو الكتاب الوحيد الذي شارك في تأليفه، ومن هنا فإنه من الضرورة بمكان إبراز نماذج من رسائل وخطب الشيخ خليل تخليدا لذكراه وحفظا لحق نشر العلم. ونقرأ في التراث الإسلامي أن "تصنيف العالم ولده المخلد" [2] وهو ما نريده لشيخنا الكريم ولأنفسنا.

كان الشيخ خليل يعتز بشخصيته الأزهرية ومحبا لرواد الأزهر وعلماء الإصلاح والتجديد أمثال محمد عبده وشلتوت والمراغي وأبو زهرة ومحمد البهي كما كان شديد

---

[1] لأخذ جولة بانورامية 360° في مسجد الطب الإسلامي ومشاهدة المسجد بطريقة ثلاثية الأبعاد انظر: http://www.3dmekanlar.com/ar/kuwait-islamic-medicine-mosque.html

[2] وقالت الحكماء علم الرجل ولده المخلد. وفي كتاب آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن المنصور اليمني "علم الإنسان ولده المخلد"، ص 5.

الإعجاب بالشيخ محمد الغزالي والأدباء من مثل العقاد والرافعي ولقد عرف الشيخ فضل أولئك وأخذ يتحدث عن فضائلهم وإنما "يَعرِفُ الفضلَ لأهل الفضلِ ذوو الفضل".

لعبت الغربة دورا مهما في تشكيل شخصية الشيخ خليل حيث عاش لفترة من الزمن في ليبيا والبحرين والكويت ثم عاد في نهاية مطافه إلى مصر الحبيبة وألقى عصا التَّطواف. ولا ريب أن السفر للأقطار العربية والمكث فيها علمته طبيعة المجتمعات العربية وسبل الدعوة فيها. الأسفار تهذب النفوس وتكسبها بصيرة وحكمة وكما قال الشافعي:

إنّي رأيت وقوفَ الماءِ يفسده ... إن ساحَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطبِ

لقد حمل الشيخ خليل في حله وترحاله هموم أمته وكانت الهواجس تنتابه وهو يتحدث عن الحرب العراقية الإيرانية، وكتب لنا عن ألمه الشديد عندما غزت العراق الكويت عام 1990م.

شخصية الشيخ بين الأصالة والمعاصرة

كانت فتاويه تميل إلى التيسير وبيان سعة الشريعة ومرونتها وسماحتها كما كان مدركا لتقدم العلوم وضرورة الإفادة الواعية من النواتج العلمية للحضارات المتقدمة بما فيها من علوم إنسانية. وكان الشيخ خليل يجيب عن أسئلة طلبة العلم وعامة الناس قبل وبعد الصلوات وكان موضع ثقتهم يبثون له همومهم بل هموم أولادهم ومشاكلهم الشخصية والوظيفية طلبا للمشورة والدعاء وبحثا عن الطمأنينة. ومن هديه النأي بعامة الناس عن مواضيع الخلاف والابتعاد عن الخوض في مجالات لا يفقهونها كما كان يتجنب التعريض بالمذاهب والطوائف بل كان يبذل وسعه للتقريب بين المذاهب والجماعات.

آمن الشيخ خليل بضرورة اصلاح أحوال العالم الإسلامي وأنه من الخطأ ترديد أمجاد الأجداد دون تحقيق اسهامات معاصرة ولا بد من رفد الحياة بالعلوم والإنتاج والأعمال الجليلة وذم الشيخ التبجح بنجاحات الماضي دون تجديد فمن "نام على أمجاده" ضاع؛ نام على أمجاده أي اكتفى بسرد مآثر السابقين والتشبث بها دون عطاء وعناء. كان المنهج الدعوي للشيخ خليل واضحا في التمسك بالقديم النافع مع استثمار ابداعات العصر وكثيرا ما سمعناه يردد قول أمير الشعراء؛ أحمد شوقي:

لا تحْذُ حذْوَ عصابةٍ مفتونــةٍ يجدون كل قديمِ شيءٍ منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أَنكروا من مات من آبائِهم أَو عُمِّرا

وهكذا كان الشيخ خليل يعتز بمحاسن التراث ولكنه يرفض التوقف عنده وكما قيل "من يزدهي بجدوده يستأجر أمجاد الآخرين". من هنا كان الشيخ شديد الاعجاب بالمجددين من أصحاب الاجتهادات الرصينة المتوافقة مع متطلبات العصر. **امتاز فكر الشيخ خليل بالانفتاح على المعارف المتعلقة بالعلوم الإنسانية بينما كثير من الخطباء إلى اليوم لا يعرفون أهميتها في تكوين ثقافة عصرية ناضجة بل بعضهم يرفضها أو يقلل من قدرها.**

قبسات من كلمات الشيخ خليل

العالم الرباني شخص نجح في العيش بانسجام وصفاء مع معتقداته الراسخة، ومواعظه الصادقة، ومواقفه الناصعة، وهكذا عرفنا فضيلة الشيخ خليل أبو طالب صاحب نظرات سديدة ومقاربات موفقة في معالجة مشكلات الحياة بصفته داعية إلى الله سبحانه، وهذه الخطب المنبرية التي بين أيدينا اليوم تعكس جانبا من رؤيته الإصلاحية. عن طريق خطبة الجمعة وجد الشيخ طريقه نحو الإصلاح المجتمعي فجاءت عباراته المكتوبة جزلة الألفاظ، رشيقة التراكيب، بديعة المعاني، مخضبة بالمضامين التربوية العبقة، ومرصعة بالاقتباسات المضيئة بلغة بليغة من مثل قوله:

1. إن الأخلاق كما تكتسب بالتعليم تكتسب بمخالطة ذوي السلوك الطيب والخلق الكريم وتؤخذ بالصحبة ويعتادها من يعاشر الكرام.

2. الخلق ليس كلمة تقال أو عظة تؤدى وإنما هو تدريب متتابع متواصل على أن تلتزم بالخلق الفاضل، والسلوك النبيل في كل المواقف دون استثناء فلا يحمله على الكذب رغبة أو رهبه أو محاباة أو زلفى.

3. الحرية والعزة والكرامة من ثمار الكفاح والنضال.

4. الرحمة والشفقة على الحيوانات يكفر الله بها من العباد الكبائر من الذنوب، فما بالكم مع الإنسان.

5. حاربوا شح النفس ومرنوها واقهروها على البذل والعطاء، يكتب الله لكم الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة.

6. إن المريض يجأر[1] بالدعاء ويرفع أكف الضراعة طالبا للشفاء فيكون في معية الله تعالى فيستجيب الله دعاءه ويحقق رجاءه.

---

[1] جأَر فلانٌ إلى الله: رفع صوته بالدعاء وتضرّع إلى الله {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} [المؤمنون: 64]، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 339).

7. إن الصدق أمارة على طهارة الباطن والنفس العالية والضمير الحي والروح الكريمة، إنه يدل على سمو الإنسان أمام نفسه وإحساسه بقيمة كيانه فهو يجعل بين جنبيه قلباً مليء بالثقة والرضا والطمأنينة والشجاعة الأدبية فهو يقول الحق وينطق بالصدق ولا يخشى في الله لومة لائم.

8. إن المتتبع لآيات القرآن الكريم، يرى أن الله تعالى يذكر كثيرا من الطاعات، ويقرنها دائما بالصلاة، مما أعطى الصلاة في جملة الطاعات منزلة كبيرة واهتماماً بليغا.

9. الصدقة تمحو الذنوب والخطايا كما يمحو الماء الوسخ عن الجلد.

10. خلق الله الإنسان لعبادته، وأسكنه أرضه لطاعته، والامتثال لأمره.

11. بعث الله محمدا عليه السلام ليأخذ بيد البشرية إلى الأخلاق العالية، ويغرس في قلوبها النبل وسمو النفس، ويعلمها الفضيلة ويجنبها الرذيلة.

12. الاسلام لا يريد الحرب مطلقاً، ولكن يضطر إليها اضطراراً. والحرب في الإسلام عملية جراحية لمرض اجتماعي، لا يجيزها إلا إذا لم ينفع دواء ولم يشفع تعليم أو نداء.

13. والناظر فيما جاءت به الشريعة الإسلامية من صلاة وصيام وزكاة وحج وهي أركان الإسلام ودعائمه التي تقوم عليه، يرى أن الغرض منها تعويد الإنسان وتمرينه على مكارم الأخلاق، فإن لم يكن الإنسان على جانب كبير من الأخلاق العالية، فلا صلاة له ولا صيام ولا زكاة ولا حج.

14. وقد علمنا ديننا أن الجهاد يكون بالنفس والانضمام إلى صفوف المقاتلين ويكون بالمال ببذله وإنفاقه في كل ما يرفع من شأن البلاد ويعزها ويقويها، ويكون

باللسان بدفع أكاذيب الأعداء وافترائهم والإشاعات التي ينشرونها، ويكون بالقلم والكتابة ليحق الله الحق ويبطل الباطل.

15. أمرنا [ديننا] بالعمل لربنا نعبده، ولديننا ننصره ونتمسك به، ولأهلنا نصلهم، ولوطننا نخدمه ونفديه بالنفس والمال، وأن نعمل لبلادنا، نستخرج خيراتها، ونضرب في الأرض باحثين مصلحين. قال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك: 15).

16. إن القسوة في قلوب العباد، تجرئهم على الفسوق والعصيان والفساد.

17. [يقوم المؤمن بالمحافظة على الصلاة....] ليترقى في عبادته ويتسامى في إخلاصه ويرتفع بطاعته حتى يكون مع الملائكة ويتوحد هو والملائكة مع ملكوت الله كله حيث يسجد الجميع في خشوع وابتهال وضراعة.

18. شرع الصيام ليتحقق للمسلمين جميعاً صحة أبدانهم، وصحة أرواحهم [وصحة عقولهم، وصحة أخلاقهم].

19. وما ترى في قلوب الخلائق من تعاطف وتراحم فهو أثر من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى في أصفيائه.

20. وإن من الأموال المحرمة في الإسلام، الهدايا التي تقدم للشخص بحكم وظيفته أو جاهه أو منزلته، فمن أراد أن يحيا شريفاً نزيها، محافظاً على دينه ووطنه وعرضه، فلا يقبل أمثال تلك الهدايا وليردها على أصحابها.

21. لن نفوز في الآخرة إلا إذا قمنا بما فرضه الله علينا، من خدمة الفرد والمجموع، والدين والوطن.

22. [أمرنا الله] بأن نأخذ من الدنيا أفضل ما فيها، لنكون في الآخرة خير من فيها.

23. والإسلام جاء ليحفظ للإنسان خمسا؛ دينه ونفسه وعقله ونسله وماله وأن أي اعتداء على واحد من هذه الخمسة يلحقه التحريم.

24. ولو تذوقنا الإيمان، لعرفنا لذة الصراحة وقوة الحق، ونور الإخلاص وفائدة الصدق.

25. لقد حرمت كل الشرائع الزنا لعظم ضرره، وشدة خطره، وحتى لا تختلط الأنساب، وتضيع الأولاد، وترمى اللقطاء في الشوارع والطرقات.

26. مصر فلذة كبد الإسلام.

27. كتب الشيخ خليل أبو طالب في كتاب السبق التربوي الذي شارك في تأليفه مع بدر ملك "يراد بالتربية تنمية الأخلاق وتزكية النفس وتدريبها حتى تطبع على الخلال الحميدة والطباع الكريمة، والتنشئة المتنامية والجهود المتتابعة في مجال التعليم بقصد اكتساب القدرات الجسمية والعلمية والمهارات العقلية والفكرية. ويراد بالتعليم متابعة الجهد المبذول لتربية الفرد على السلوك الطيب والخلق الحميد، ولإزالة الجهل وكشف الخفاء ومساعدته على فهم العلوم وجمع المعارف في كل العلوم والفنون...**العلم وسيلة للتربية والتربية وسيلة للعلم**" (ص 279).

28. وكتب الشيخ خليل عن كتاب السبق التربوي "اشراقة مضيئة في عالم التربية وهو للإمام الشافعي سبق عظيم في دنيا الفكر والتعليم إنه بغية المكتبة التربوية وسداد ثغرة في مجال تربية الناشئة وصنع الأجيال. هذا الكتاب سيجد فيه الداعية طِلبته، والأديب رغبته، والمعلم أمله، والأب بغيته، والطالب قدوته وأسوته. هذا الكتاب لا يستغني عنه المجتمع ولا الأسرة ولا المدرسة، والجهد الذي بذل فيه من اعداد للمراجع وجمع للمواضيع وغوص لاستخراج النصوص وقراءة متواصلة وكتابة متأنية استغرقت سنوات والقصد منه أولا وأخيرا مرضاة الله تعالى والتعاون في صنع فلذات الأكباد ونفع الناس من منطلق ما يحس به المسلم من واجب فعل الخير والتعاون على البر، فإليك يا

أخي القارئ هذا الكتاب فإن رأيت خيرا فمن الله وحده وإن عثرت على سقطة فمنا ومن الشيطان وليكن الصفح والرضا كرما منك، وعين الرضا عن كل عيب كليلة .. والله المستعان".

29. وقد خص الله الأم بمزيد البر والعناية والرعاية، لأنها لاقت الهوان في الحمل والوضع والتربية فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وجعل دعاءها مجاب عند الله تعالى.

30. البعض يقتصر على الدواء، والبعض منهم يكتفي بالدعاء وكلاهما مجانب للصواب بعيد عن السنة والكتاب فلابد من استعمال الدواء والدعاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاثنين معا فلا يكفي أحدهما عن الآخر.

31. **أما ما عليه المسلمون الآن: من اتخاذ شهر الصيام للسهر والسمر طول الليل، فإذا ما جاء السحور أكل أكل المسعور، وحشر المعدة بالطعام حشراً حتى لا تستطيع التنفس ثم ينام بعد ذلك إلى العاشرة صباحاً، فإذا ما حان موعد الإفطار عند غروب الشمس عاود الكرة مرة أخرى فحشر المعدة بالطعام حشراً، ثم يشرب عليه ماء غزيراً، مثل هذا يفسد صحته، ويضر بدنه، ويخرج من رمضان مريضاً عليلاً متعبا.**

32. كتب الشيخ بعض الأبيات الشعرية ولكنها مفقودة ووجدنا أبيات متفرقة بخط يده من مثل ما يلي:

أيامنا في سماء المجد تبتســـــم ودينا للأديان مختتـــــــــم

رمضان جاء بعز الدهر يخبرنا بأنه بهدي القرآن يتســـــــم

هو الصيام به التقوى مؤكدة لكل من راقب المولى فيحتشم

وهناك عبارات محدودة لم ننشرها فيها مناجاة ودعاء وحمد وتسبيح.

33. ويقول الشيخ خليل رحمه الله "الإنسان اجتماعي بفطرته، مدني بطبعه ميله للصحبة وحنينه للألف والصداقة شيء موجود في أعماقه، مركوز في جبلته، فإذا رأيت انسانا ينفر من الصحبة ويبتعد عن الأصدقاء فذلك شخص مريض بالانطواء، سقيم النفس، داؤه العزلة والبعد عن الناس. ومثل هذا في حاجة ماسة إلى طبيب نفسي يعالج مرضه، ويحل عقده ويعيده إنسانا سوي السلوك معتدل الخلق...أما إذا صحت الصحبة ونجحت الألفة فإنها تكون أقوى من صلات القرابة وأشد ترابطا وتآزرا من علاقات الدم واللحم، وقيل رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْه أُمُّك"[1].

من مرويات الشيخ

- عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ

---

[1] كتاب السبق التربوي ص ٢٣١. رُبَّ أخٍ لك لم تَلِدْه أُمُّك [مثل]: يُضرب في الصَّديق الوفيّ، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٣). يقول جبران خليل في كتابه النبي "إنَّ صديقك هو كفاية حاجاتك، هو حقلك الذي تزرعه بالمحبة وتحصده بالشكر، هو مائدتك وموقدك؛ لأنَّك تأتي إليه جائعًا، وتسعى وراءه مستدفئًا. فإذا أوضح لك صديق فكره فلا تخشَ أن تُصرّح بما في فكرك من النفي، أو أن تحتفظ بما في ذهنك من الإيجاب؛ لأنَّ الجبل يبدو للمتسلق له أكثر وضوحًا وكبرًا من السهل البعيد". كتاب النبي من منشورات الهنداوي.

[2] صحيح مسلم (١/ ٣٢٣)، سنن أبي داود (١/ ١٨١)، قال النووي في شرح صحيح مسلم. هيشات: "هِيَ بِفَتْحِ الْهَاءِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ وَبِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ أَيِ اخْتِلَاطُهَا وَالْمُنَازَعَةُ وَالْخُصُومَاتُ وَارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ وَاللَّغَطُ وَالْفِتَنُ " (ج ٤، ص ١٥٦).

الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1].

– عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول اللهِ قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} (الجن: 1). من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[2].

– وقال علي رضي الله عنه يناجي ربه "كفاني عزا أن تكون لي ربا وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا، كنت لي كما أحب، فوفقني لما تحب".

– " لا تحسب المجد تمرًا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتَّى تلعق الصَّبرا"

– قال الشاعر عمرو بن الأهتَم المِنْقَري:

لَعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بأَهْلِهَـا ولكنَّ أَخلاقَ الرِّجالِ تَضـيقُ

---

[1] سنن ابن ماجه (1/ 81).

[2] ورد في موقع الدرر السنية: الراوي : علي بن أبي طالب | المحدث : ابن العربي | المصدر : عارضة الأحوذي. الصفحة أو الرقم | 6/43 :خلاصة حكم المحدث : لا ينبغي أن يعول عليه.

-أيها المسلمون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ[1]" [(فليتوكل على الله) لأنه إذا قوي توكله قوي قلبه وذهبت مخافته ولم يبال بأحد][2]. (التوكل الذي يقوى الإنسان به، نوع من الثقة بالله، يثبت الإنسان عندما تحيط به ظروف محرجة، ويلتفت حوله فلا يرى عونا ولا أملاً).

-قال محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم: من الوفاء المحمود أن يذكر الرجل ماضيه الذاهب، لينتفع به في حاضره ومستقبله، ومن كان معسرا فأغناه الله، أو مريضا فشفاه الله، فليس يسوغ له أن يفصل بين أمسه ويبني على غروره بحاضره مسلكا، كله فظاظة وجمود. فهذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق: وربما انطرد من رحمة الله فلم تتسع بعدئذ له. مما يدل على شؤم الغدر وعقوق النعمة، وزوالها من يد صاحبها.

-"ومما يجعل المسلم قويا أن يبتعد عن حياة الخلاعة والمجون، وأن يألف مسلك النزاهة والاستقامة فإن الرجل الخرب الذمة أو الساقط لا قوة له ولو لبس لبوس السباع"[3].

- الحقيقة الكبرى؛ طلب القرآن إلى الناس "فتح أبصارهم على آفاق السماء، وفجاج الأرض، وخواص الأشياء {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يونس: 101]، {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى} [الروم: 8]"[4].

---

[1] المنتخب من مسند عبد بن حميد تحقيق صبحي السامرائي (ص: 225)؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 301): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ؛ مسند الشهاب القضاعي (1/ 234)؛ مشيخة قاضي المارستان (2/ 671)؛ جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (2/ 497).

[2] التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لمحمد بن إسماعيل بن صلاح (10/ 256).

[3] محمد الغزالي، خلق المسلم.

[4] محمد الغزالي، عقيدة المسلم.

- وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ مِنَّا [عبد الملك بن مروان]: "لَاعِبْ وَلَدَكَ سَبْعًا وَأَدِّبْهِ سَبْعًا، وَصَاحِبْهُ سَبْعًا، ثُمَّ اجْعَلْ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ"[1].

-قال الشيخ خليل أبوطالب "يا أتباع النبي الكريم محمد صلوات وسلامه عليه لا يوجد في دنيا الناس دين مجد العقل وباهى بالفكر وغالى بالعلم مثل الإسلام، دين الله الخاتم هذا الدين الذي جاء للناس من اللحظة الأولى بأعظم تحول إنساني خطير في عالم البشر فتنزلت آياته الأولى آمرة بالقراءة حاثة على التعليم فالعلم في نظر الإسلام أكبر نعمة أنعمها العليم الخبير على عباده، ويكفي هذه النعمة شرفا أن الله عز وجل هو معلمها الأول "الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)" (سورة الرحمن). وأن محمدا صلى الله عليه وسلم معلم البشرية هو المعلم الثاني "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)" (سورة الجمعة). وأن أولي العلم سلكوا في آية واحدة مع الله عز وجل وملائكته "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) " (سورة آل عمران).

وحين أراد الله إعمار الحياة خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود تكريما وتعظيما لأنه علم فتعلم فكان جديرا بالتكريم {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (سورة البقرة: 31).

---

[1] غارب: كاهِل، ما بين الظهر والعنُق "تقع المسئوليّة على غاربك"، ألقى حبلَه على غاربه: تركه يتصرّف على هواه كما في كتب اللغة. غرر الخصائص الواضحة (ص: 114) لمؤلفه أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط. تفسير المنار (5/ 74). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية لمحمد منير مرسي (ص: 197). تربية الأبناء لمحمد راتب النابلسي، 2016م، ص 23. وفي دروس للشيخ ابن جبرين (11/ 15، بترقيم الشاملة آليا) "ليس هذا حديثاً، وإنما هو حكمة من الحكم أو كلام لبعض المربين، ومعناها صحيح في السبع الأولى حيث يكون الولد طفلاً يحتاج إلى المداراة والملاعبة، ولكن مع ذلك يشمل التلقين من حين يبدأ في السنة الرابعة".

خليل أبو طالب على نهج الغزالي

وبنظرة تحليلية لمجمل انتاج فضيلة الشيخ خليل محمد أبوطالب، وعلى ضوء معاينتنا المركزة لأعماله الكتابية والاستماع له مباشرة نقرر ونجزم أن كتابات ومحاضرات محمد الغزالي (توفي 1996م) تمثل الرافد الفكري الأساسي لتلك الخطب فكلاهما انصبَّ اهتمامَهما على الدعوة الإسلامية والخطابة وحماية اللغة العربية. لقد تتلمذ الشيخ خليل على يد محمد الغزالي كما تتلمذ على يديه عدد كبير من الدعاة والكتّاب في جميع الأقطار الإسلامية.

وهكذا فإن المدقق في خطب الشيخ خليل أبو طالب وأسلوبه الدعوي يلحظ بوضوح تأثره بأستاذه الشيخ محمد الغزالي[1] وهو من أشهر خطباء القرن العشرين وكان صاحب قلم سيال خدم الإسلام دعوة وفقها، واستثمر مواهبه وثقافته في صياغة جميل مواعظه وكتاباته كما كان صاحب نقد لاذع للتشدد الديني من جهة، والاتجاه التغربي من جهة أخرى. وهكذا نجح محمد الغزالي في نقد العادات الاجتماعية والسلوكية الراكدة كما انتقد الأفكار الوافدة المناقضة للدين ولقد قمنا بتأليف كتاب يناقش مسألة تربية المرأة في فكر الشيخ محمد الغزالي.

حاول الشيخ خليل أبوطالب أن يحتذي بشيخه الغزالي ومنهجه الدعوي ولهذا سنجد الشيخ خليل يسير على طريقة ونهج الغزالي لا سيما في الاقتباس الحرفي أحيانا من كتابه خلق المسلم، وسرد الحكايات المستوحاة منه لفهم الحياة، وإرشاد الدعاة. أوجه الشبه بين الشيخ خليل والغزالي كثيرة ومنها أنهما تخصصا في كلية أصول الدين

---

[1] للاطلاع على فكر الشيخ محمد الغزالي من منظور تربوي يمكنكم الرجوع لكتاب لطيفة الكندري، وبدر ملك: تربية المرأة من منظور محمد الغزالي على موقع أ.د. لطيفة الكندري (latefah.net) وأيضا موجود في موقع أ.د. بدر ملك (badermalek.com). مجلة العلوم التربوية. أكتوبر (2003) العدد الرابع، جامعة القاهرة: معهد الدراسات التربوية. وقام مركز الراية بنشر دراستنا عام 2005 وتم توفير الكتاب في مكتبة بستان المعرفة في السعودية. وقد كتب عن كتابنا هذا د. علاء الدين آل رشي: "وهذا الكتاب لمؤلفين عبقريين آثرا الحقيقة على الوهم.... هذا الكتاب فتح معرفي يحامي عن الحقيقة ويبرق من ثناياه الفكر الوسطي".

وحصلا على الشهادة العالمية الأزهرية وعملا في حقل الخطابة وتوجيه الناس بالحكمة، ولديهما شغف باللغة العربية الفصيحة. وعندما حضر الشيخ الغزالي لمركز الطب الإسلامي في الكويت مرَّة من المرّات، كان الشيخ خليل في طليعة الحضور لسماع محاضرته. ومن المعروف عن مشايخ الأزهر تميزهم بالزي الأزهري، والاقتداء بسلوك العلماء، واعلاء شأن العلم والمتعلمين من مبدأ "العلم رحمٌ بين أهله"، والمحبة والاحترام للإنسان، وهكذا كان الشيخ خليل رحمه الله.

المنجَز الفكري الكبير الذي شارك الراحل في تأليفه معنا هو كتاب: "السبق التربوي في فكر الشافعي" في عام 1989م، مما يدل على إيمان الشيخ خليل بضرورة العناية بالفكر التربوي الذي يفتح الأبواب لمراجعة أصول التربية واتجاهاتها وممارساتها.

وفي هذا الصدد قال المفكر: علي عزت بيجوفيتش[1]:

"أدركت جانبا من أسباب تخلفنا وانحطاطنا في القرون الأخيرة، وهو التربية الخاطئة للنشء، والحقيقة أننا نربي شبابنا تربية خاطئة منذ قرون، **وكان هذا ناتجا من عدم فهمنا للفكر الإسلام الصحيح**"[2]. فعلا كان علي عزت بيجوفيتش لماحا في تحليله عندما فطن إلى مكن ضعفنا؛ الفكر التربوي الخاطئ للنشء وهو الأمر الذي كان الشيخ خليل أبوطالب يبصره مثله مثل شيخه الغزالي، وهو المجال الذي نؤمن نحن به وجندنا أنفسنا فيه أكاديميا حيث نقوم بالتدريس في كليات إعداد المعلم لنشر الفكر التربوي الصحيح.

---

[1] بيجوفيتش، علي عِزَّت (1344هـ ، 1925م). رئيس جمهورية البوسنة والهرس ، وُلد في بلدة بوسانسكي شاماك (جمهورية البوسنة والهرسك). وقد انتخب في العشرين من ديسمبر عام 1990م رئيسًا لجمهورية البوسنة والهرسك. ومن أهمّ مؤلفاته الميثاق الإسلامي؛ الإسلام بين الشرق والغرب، إضافة إلى سلسلة من المقالات تحت عنوان تأمّلات في السجن. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1413هـ، 1993م. راجع الموسوعة العربية العالمية. 2004، الرياض.

[2] محمد بن حامد الأحمري (1431هـ-2010). نبت الأرض وابن السماء: الحرية والفن عند علي عزت بيجوفيتش. ص 67-68، ط1، مكتبة العبيكان. السعودية.

الشافعي يوثق صداقتنا

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكنْ بها صديقٌ صدوقٌ صادقَ الوعدِ منصفا

بدأ أ.د. بدر محمد ملك منذ دراسته الجامعية في القراءة المتأنية لتراث الشَّافِعِيّ وقام بتأليف كتاب السّبق التربوي في فكر الشَّافِعِيّ بالاشتراك مع فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب رحمه الله ونُشر الكتاب عام 1409 هـ = 1989م. نتائج الدراسة في معظمها كانت ذات قيمة علمية كما أن توصيات الدراسة تحقق منها الكثير بحمد الله تعالى، وتعد الدراسة المذكورة في مجملها من الدراسات الموسعة الرائدة في هذا المضمار.

وعن أهمية الدراسة التي أكرمنا الله بها قال د. عجيل النشمي- من علماء الشّريعة في الكويت – في تقديمه للكتاب "إنه لم يخطر بالبال أو يجرى في الخاطر، أن إمامنا [الشَّافِعِيّ] له في علم التربية مدخل، بَلْهَ أن يكون له سبق في قضاياه ومسائله ونظرياته. واعتبرت لأول وهلة إن هذه دعوى يصعب تحقيقها وإثباتها فبدأت بقراءة الكتاب وأخذت أتنقل في ثناياه التربوية خاصة، فتكشف لي أن الدعوى لها سند من الثبوت والصحة، فأجللت الإمام وأكبرته وأيقنت أن الله حباه من الخير ما لم يحب غيره، وأنه مازال كالشّمس للدّنيا حقاً، وعافية للأبدان صدقاً، فما من عالم سلف زمانه إلا تحررت مسائله ونفذت بضاعته، والإمام الشَّافِعِيّ مازال الباحثون يكتشفون فريد دره، وجميل صنعه".

وفي هذا الصَّدد عرض الأستاذ خليفة عبدالله التّونسي الكتاب فَوْر صدوره في مجلة البلاغ من خلال عدّة حلقات واعتبر كتابنا محاولة من المحاولات الجادة لأسلمة العلوم وإبراز عظمة العطاء الإسلامي. استفتح التُّونسي المقال بقوله "لماذا نُربي أجيالنا على موائد الغرب وتراثنا يكتظ بالعطاء الذي استوعب حضارات الأرض العظمى في نهر حضارته الدَّافق". وأما الأستاذة الفاضلة والمربية الكريمة: نسيبة عبدالعزيز المطوع فقد عملت على استثمار الكتاب في المجال النّظري والعملي على حد سواء ففي مشروعها رؤية لمنهج تربوي

اجتماعي ثقافي إسلامي وفي الجزء الخامس نشرت كتاب "مستحقات طالب العلم" وذكرت في مُقدِّمته أنها استعانت في بلورته على كتاب السبق التربوي في فكر الإمام الشَّافِعِيّ كمرجع أساسي لأنها "وجدت أهمية تربوية كبيرة في هذا المرجع الطَّيب وقبول ممتاز من الحاضرين (أي لدوراتها التّدريبية).."، استخدمت الباحثة الفاضلة كتاب السَّبق في دوراتها التدريبية للأمهات، وفي مقالاتها، وقامت بتلخيصه وأضافت إليه المزيد من الشواهد والأفكار[1]. ولقد قام عدد من المربين بعرض وتدريس جانب من دراساتنا عن الشافعي في مقرر الفكر التربوي الإسلامي في كليات اعداد المعلم كما قمنا في عام 2010م بنشر دراسة علمية محكمة عن المضامين التربوية في فكر الإمام الشافعي[2]. وهكذا كان كتابنا "السبق التربوي" نِبْراسًا لعدد من الدراسات وفاتحة خير بحمد الله.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى دراسة بدر ملك والشيخ خليل محمد أبوطالب (1989م) الموسعة عن السبق التربوي في فكر الشافعي فلقد توصلت الدراسة إلى الآتي:

أولا: إن الكاتبين في ميدان التربية لم يفردوا للشافعي كتبا متخصصة في المجال التربوي تبرز أفكاره وتبين آراءه، ولم تمتد أيدي الباحثين إلى الكثير من كنوزه العلمية، والتي مازالت حبيسة كتبه أو مبثوثة في سيرته وترجمته.

ثانيا: نجح الشافعي نجاحا كبيرا في أن يتخذ من الشعر مادة ثرية يخدم بها غرضه التربوي فجاء ديوانه الشعري صورة صادقة وتعبيرا واقعيا عن تجربته التربوية.

ثالثا: كانت نظريات الشافعي وأفكاره التربوية نبراسا هاديا ومنطلقا قيما لرواد التربية من بعده يقتبسون منه، كالغزالي وابن خلدون وابن جماعة وغيرهم حتى كان هؤلاء امتدادا طبيعيا لفكره التربوي، وكثيرا ما كانت أفكارهم مجرد صدى لآراء الشافعي.

---

[1] ملك، بدر، والكندري، لطيفة (1434 هـ = 2013 م). تراثنا التربوي: ننطلق منه ولا ننغلق فيه. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح.

[2] شارك في الدراسة بدر ملك، محسن الصالحي، لطيفة الكندري.

رابعا: تقوم فلسفة التربية عند الشافعي على أساس أن العلم النافع هو الذي يستطيع أن يحقق السعادة والاستقرار للإنسان وأن العلم في نظره عبادة.

خامسا: آراء الشافعي وأفكاره التربوية ليست وليدة دراسات في الفلسفة أو في علم الكلام كما أنها ليست ترديدا لفكر قديم شرقي أو غربي وإنما هي اقتباس من مشكاة النبوة من القرآن والسنة لذلك جاءت فكرا إسلاميا صافيا.

سادسا: الوضوح الكامل مع الإيجاز غير المخل هما السمة الغالبة على كل آراء الشافعي في المجال التربوي.

سابعا: بلاغة الشافعي وقدرته الفائقة على الإيجاز تتطلب ممن تصدى لشرح أقواله أن يعمد إلى الإسهاب والتوسع لكي يحيط بكل ما في كلماته من معاني باستيعاب ووضوح.

ومن توصيات الدراسة السابقة التي شارك بها الشيخ خليل:

أولا: النصوص الشعرية والنثرية التي يمكن أن تختار من تراث الشافعي ينبغي أن تدرس في المراحل التعليمية المختلفة، وأن يحرص القائمون على شؤون التعليم وأن يقروها حفظا وتعليما فإنها مع دورها في التربية تنمى ملكة الحفظ وتكسب الأدب الرفيع في التعبير وتعطي القدرة على الأداء وقدرة على العارضة، كما أنها أصول فقه وتربية وقانون وسياسة واقتصاد واجتماع.

ثانيا: إن من الأمانة العلمية أن يُكتب تاريخ الفكر التربوي وتطوره مع إبراز الرواد الأوائل الذين أسسوا الحركة الفكرية والتربوية لمن جاء بعدهم من أمثال الشافعي.

قصيدة الشيخ خليل عن الشافعي

كتب الشيخ خليل محمد أبو طالب في عام 1989م قصيدة عن الإمام الشافعي (150-204هـ = 767-820) بعد أن شارفنا على الانتهاء من كتابة: السبق التربوي وأثناء طباعة الكتاب. القصيدة بعنوان "الشافعي مربيا ومعلما" وفيما يلي نبذة يسيرة عن الإمام الشافعي وبعدها نورد القصيدة.

ولد محمد ابن إدريس الشافعي بمدينة غزة بفلسطين، حيث خرج والده إدريس من مكة إليها في حاجة له، فمات بها وأمه حامل به، فولدته فيها ثم عادت به بعد سنتين إلى مكة. حفظ القرآن بها في سن السابعة وحفظ موطأ مالك في سن العاشرة. تلقى الشافعي فقه مالك على يد مالك. وتفقه بمكة على شيخ الحرم ومفتيه مسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة الهلالي وغيرهما من العلماء. ثم رحل إلى اليمن واطلع على ما عند علماء العراق وأفادهم بما عليه علماء الحجاز، وعرف محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وتلقى منه فقه أبي حنيفة. رحل الشافعي إلى مصر والتقى بعلمائها وأعطاهم وأخذ منهم. وظل بمصر إلى أن توفي بها. يعد الشافعي أول من ألّف في علم أصول الفقه[1].

القصيدة التالية للشيخ خليل أبوطالب تسلط الضوء على مسيرة الشافعي وفكره التربوي بومضات سريعة تلخص حياته وأسباب نبوغه وأثره وجوانب العبقرية لديه من خلال أبيات شعرية تثير في النفس معانيَ عديدة، ومشاهد متنوعة، وخواطرَ رقيقة.

وعن طبيعة الشعر في ضمير الشيخ خليل أبو طالب نقرأ قوله: "الشعر نبض الشعور الفياض وقيثارة العاطفة الجياشة يتناغم مع الوجدان ويعتلج في الجنان فيهز النفوس بموسيقاه الرائعة ويطرب القلوب بأنغامه الساحرة، ويبهر الروح المجنح، ويسعد الأعماق بالإبداع والتفنن"[2].

---

[1] انظر الموسوعة العربية العالمية، وأيضا كتابنا السبق التربوي وكتابنا تراثنا التربوي.

[2] في كتاب السبق التربوي ص 33).

موضوع القصيدة: الشافعي مربياً ومعلماً

مجد تسامى مدى الأيام والحقب ... بدر تألق فوق الأنجم الشهب

التربوي الذي قد نال منزلة ... ما نالها أبدا في الفضل غير نبي

الشافعي ربيب العلم جامعة ... أكرم به علما بالمكرمات حُبي

العبقري[١] الذي أضحت مناقبه منارة ... في سماء العلم والأدب

نبل وحلم وأخلاق وتربية ... وحكمة وبيان عَزَّ في الطلب

في الطب والفقه والإفتاء نابغة ... وفي الأصول وفي التاريخ والنسب

وفي الحديث إمام حاذق فطن ... ثبت يحيط كالصيرف الأرب

ذؤابة المجد[٢] في الأبطال تعرفه ... وقمة الفهم في التدريس والكتب

حباه مولاه منذ صباه حافظة[٣] ... يا طيب ما حفظت للفاقه النجب[٦]

فاعجب لطفل وعى القرآن يحفظه ... في سن سابعة لم يعى من نصب

في روضة الشعر عند هُذيل راوية[٤] ... وفي مرابعها يختال بالأدب

يعب من لغة للعرب ساحرة ... عصماء والنثر فيها رائق الحبب[٧]

---

[١] فائق الذَّكاء.

[٢] ذؤابةُ المجْد: قمَّتُه وأوْجُهُ.

[٣] أكرم الله الشافعي بالعديد من المواهب منها ذاكِرة حافِظة تتمتع بقدرة على استبقاء الأشياء في الذِّهن.

[٤] عاش الشافعي فترة من الزمن في قبيلة هذيل يتعلم منها الفصاحة والبلاغة والشجاعة حتى صار الشافعي حجة في اللغة. والجدير بالذكر أن هذيل من أفصح القبائل العربية. قال أحد العلماء من تعلّق بشيء من بيان الشافعي صار محجاجاً والكلمة إذا وردت في كلام الشافعي فهي حجة مقبولة عند أهل اللغة لأن كلماته كلّها عربية فصيحة صالحة للاحتجاج.

[٦] للفقيه النجيب.

[٧] حَباب، والجمع حَبَب بمعنى فقاقيع على وجه الماء.

مَخايـل النُّجـب[١] في عينيـه زاهيـة ... وروعـة العلـم قـد واتتـه عـن كثـب

إن صـال بالشـعر فالأبيـات ناطقـة ... أو جـال نـثرا أتى بالمطـرب العجـب

كأنمـا اللؤلـؤ المنثـور منطقـه ... في لجـة الـدرس أو حومـة الخطـب

حياتـه صـورة بالفضـل مترعـة ... أيامـه أسـوة للعلـم والرتـب

عمـت مبادئـة الدنيـا بأجمعهـا ... سـارت بشـهرته الركبـان بالعجـب

وفي المدينـة[٤] قـد زاد الفتـى شرفـا ... مـذ فـاز مـن مالـك بالمنهـل اللجـب[٦]

تاهـت برحلتـه بغـداد[٥] في ألـق ... وراق معدنـه في مـصر كالذهـب

في الحلقـة ازدحـم الطـلاب في نهـم ... تفجـر العلـم مـن جنبيـه في صبـب

إمـا بـدا الـدرس فـالأرواح مصغيـة ... كأنمـا الطـير قـد شـدت عـلى طنـب

فمـن أراد بلـوغ العلـم مجتهـدا ... ففـي ابن إدريس يحظـى منه بالأرب

هـذا المعلـم فلنتبـع بسـاحته ... خطـاه بـين ثقـات العجـم والعـرب

طابـت منابتـه واعتـز محتـده ... لأنـه لرسـول اللـه ذو نسـب

فاخـر بـه بـين أهـل العلـم قاطبـة ... التربـوي الـذي أوفى عـلى السـحب

---

[١] ظهرت على الشافعي رحمه الله مخايل النجابة والذكاء منذ صغره.

[٤] المدينة هنا المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حيث تتلمذ الشافعي على يد الإمام مالك بن أنس.

[٥] رحل الشافعي إلى بغداد عدة مرات وأخذ من محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وتلقى منه فقه أبي حنيفة.

[٦] بَحْرٌ ذُو لجَبٍ: أَمْوَاجُهُ مُضْطَرِبَةٌ، مُلْتَطِمَةٌ، واللَّجَبُ: ارتفاعُ أَصوات الأَبطال واختلاطها.

عظمة القرآن: تعليق الشيخ خليل على بحث الطالبة لطيفة الكندري

هذه رسالة كتبها الشيخ خليل في عام 1989 م عندما كتبت لطيفة الكندري بحثا قصيرا عن اعجاز القرآن الكريم وهي يومئذ طالبة في كلية التربية الأساسية بعنوان «أضواء على الإعجاز القرآني». تدل السطور التالية على حرص الشيخ خليل على تشجيع طلبة العلم من البنين والبنات وتحفزيهم لعمل الأبحاث وخوض تجربة الكتابة التي تسهم في نماء الفرد والمجتمع وتشعل فتيل الاستكشاف. توثق الكلمات التالية مشاعر الشيخ خليل نحو القرآن الكريم الذي صاحبه واستأنس به طوال حياته يتلوه ويتفكر فيه آناء الليل وأطراف النهار.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

براعة استهلال وروعة إيمان وحسن توجه وتوفيق أيما توفيق أن يكون بدء التأليف وباكورة الكتابة عن الإعجاز القرآني فذلك أمر يحتاج إلى جهد كبير، وتحصيل وفير في علوم القرآن وتذوق فني وتصور دقيق لأوجه أدائه ودقة تعبيره وحسن تصويره وأدبه الفذ وبيانه الفريد ولا عجب فإنه الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، والإسلام حين تأنس إليه النفوس.

والقرآن حين يذوق المؤمن حلاوته، و[يتغلغل] في أعماقه برده ولذته فيأخذ الإنسان من نفسه ويملك عليه مشاعره ويستولي على أحاسيسه ويوجه تصوره وفكره ويثير فيه جمال العلم وعذوبة الفكر، وينير جوانحه وأعماقه، فماذا يملك الإنسان في محراب العلم الرباني والبيان الإلهي الذي يحيط بالإنسان من كل جوانبه، إنه الكلم الذي تفرد بالخلود وتميز بالشمول، واتسم بالإحاطة. ولا غرابة فهو حديث العليم بذات الصدور الذي

يعلم السر وأخفى والذي أحاط بكل شيء علماً، ماذا يملك الإنسان إلا أن يخر ساجداً لعظمته، مبهوراً بجلاله وسموه مأخوذاً بتفوقه وإعجازه حين يأخذ بمجامع قلبه فتهتف كل ذرة في كيانه: سبحانك.

إنه لأصدق حديثاً وأصدق قيلاً، ومن هنا لم تأخذني الدهشة حين قرأت الكتيب الطريف في موضوعه الظريف في تناوله المسمى «أضواء على الإعجاز القرآني» للكاتبة [لطيفة الكندري] المبتدئة والمتمكنة في نفس الوقت؛ المبتدئة في التأليف والمتمكنة في نفس الوقت من الوفاء بالمعاني والتصنيف وهو شيء [يصدر] عن روح انفعلت بجمال القرآن، وتفاعلت مع جلاله وروعته وهامت بإبداعه وحلاوته وحلقت في تفرده وإعجازه فجاءت باكورة انتاجها وبداية تفكيرها وتدريجها هذا المستوى العالي والنمط الرفيع من الكتابة في إعجاز القرآن.

إنه ميدان وأي ميدان بعيد الغور عميق الفكر لكن الكاتبة نفع الله بها وبقلمها وبارك في عطائها وجهدها أبت إلا أن تلج هذا الميدان فبذلت فيه جهدا كريماً وحققت مقصدا طيباً بأسلوب علمي باحث وتفكر نير صادق، واستطاعت أن تكتب هذا البحث القيم المتواضع الحجم، الكبير الجم، ولولا أني قرأت الكتاب على مهل وتصفحت الأبواب وراعني مع وجازته باللباب ووجدت فيه طليعة أولي الألباب لقلت هو من معتاد ما يكتب وما أكثر ما يكتب لكن الحق يقال إنه جهد عالم بقلم مفكر تقدمت للبحث فحددت أهدافه وبينت مصطلحاته وذكرت شروط الإعجاز وأوضحت معالم المعجزة وعن طريق أسئلة هادفة وصلت في براعة إلى الهدف المنشود وانطلقت في وجوه الإعجاز فذكرت منها وجوهاً غاية في العظمة والإعجاز بالأسلوب والبلاغة القرآنية والإعجاز بالإخبار عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل الإعجاز

بالأحكام والإتقان والسلامة من التباين والاختلاف ، والإعجاز بالتغيير الاجتماعي ثم الإعجاز بالنبي الأمي صلى الله عليه وسلم.

والله أسأل أن يتقبل العمل ويبارك الجهد مع رجاء السير في هذا المضمار فمن سار على الدرب وصل، ومتابعة الكتابة في هذا المجال لتوفية الإعجاز العلمي في عصر قطع فيه العلم المادي أشواطاً بعيدة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم.

وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

رسالة شخصية من الشيخ خليل إلى بدر ملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الحبيب الدكتور بدر محمد ملك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،،،

بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم أنتهز هذه الفرصة لأبث إليك بتهنئتي القلبية وأدعو الله أن يعيده عليكم والأسرة جميعا والكويت الحبيبة والأمة الإسلامية في عز وقوة وتمكين كما أرجوه ذلك ولا يقدر على ذلك غيره. أسأل الله أن يطهر الأرض الإسلامية جميعا من الأعداء والغاصبين وأن يغير السقوط والتردي والتفرق التي تعيشها الأمة إلى وحدة ورفعة وتحرر كامل فلا يغير ذلك إلا هو.

وآمل أن تصلك رسالتي هذه وأنت على أحب حال وأتمنى دوام الصحة ووافر الراحة والرضا وأن تقر عينك بناصر ومحمد وشقيقتهما وأن يسدد خطاك على سبيل الحق ويضاعف نشاطك وجهدك في خدمة الأمة ونهضة الدعوة وأن تشعر في أعماقك برضى تقدم في رزقك وعزك حتى تسكن نفسك وتستقر حياتك وتكون أهلاً لقبول أعمالك إن شاء الله مع أولئك الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه.

أخي الفاضل الحبيب لطالما اشتقت إلى رسائلك وسماع صوتك وأملي في الله كبير أن أسعد برؤياك قبل أن ألقى الله فقد أثريت في نفسي معاني الأخوة الحبيبة التي يحوطها الله ويرعاها. عشنا معا في الكويت أسعد أوقاتي فكنت إذا فارقتني لبعض شئونك اشتقت إلى لقائك وكان يخفف عني أنك الأول في رؤياك أما الآن فقد مضت أيام وأشهر وسنون وقد لا نلتقي في العام إلا على مكالمة تليفونية ليت أيام (الصداقة) تعود من جديد فهل يا ترى يأذن الله بذلك وتحقق الأيام هذا الأمل العالي السعيد.

يضيق صدري ولا ينطلق لساني في التعبير عما نرى في حياتنا من تقلبات وما وقع في حياتنا من نكسات بسببها سيطر على دنيانا الأسى والقلق والازعاج والترقب وذلك كله بسبب بعدنا عن مصدر حياتنا وعزنا ومجدنا وهو الله عز وجل ...قال الله تعالى "وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"[1] وصدق القائل:

حسَّنْتَ ظَنَّكَ بالأيّام إذْ حَسُنَتْ ولمْ تَخَفْ سوءَ ما يأتي به القَــدَرُ

وسَالَمتْكَ اللّيالي، فاغْتَرَرْتَ بِهــا وعندَ صَفْوِ الليالي يحدُثُ الكَدَرُ

أطلت عليك القول وشغلت وقتك بما يزحم فكرك ويهيج ذكرياتك ولولا ما يكمن في الخاطر وأمل أن يتحقق لي ذلك في قول القائل:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنَّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا

ادعو الله أن يثبت قدمك في ميدان الدعوة وأن يفتح على قلمك في دنيا الكتابة وأن ينفع بك أمة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وأن يجعل كل هذه الجهود الضخمة ثقلا في موازين أعمالك. **لو قُدر لك النزول إلى مصر[2] فصل رحمك فإن العلم رحم بين أهله بلغ سلامي لكل أحبابي بالكويت، الأخت حرمكم والأبناء حفظهم الله برعايته وشملهم بتوفيقه. وفقكم الله لخدمة الدين ورعاية المخلصين.** والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1998/12/26

أخوك : خليل محمد خليل مدير عام أوقاف المنيا

---

[1] سورة الأنعام: 129.

[2] لم أستطع زيارة مصر لظروف الغربة والدراسة في الخارج وفي عام 2018 أُتيحت لي الفرصة فشاركت في لقاء مفيد بإشراف اليونسكو والأزهر الشريف: "اللقاء التشاوري حول الدليل الاسترشادي للأئمة والوعاظ المسلمين في ثقافة وممارسة الحوار وتقبّل الآخر" في القاهرة على مدار يومين (28 و 29 مارس)".

الفصل الثاني : خطب الجمعة

الفصل الثاني: خطب الجمعة

في رحاب خطب الجمعة

خطباء المساجد فرسان الكلمة، وعشاق الحكمة يرشدون الناس برفق نحو خيري الدنيا والآخرة، ويأمرونهم بمضاعفة الجهد للقيام بأعمال البر والإحسان، والإيمان وتحري صدق القول، والتحلي بجميل الفعل، والتزين بحسن المعاشرة، والتذكير بفعل الخيرات، والتنفير من ارتكاب الموبقات. ولا يستغني المجتمع المسلم في أي زمن كان عن الإفادة من وعظ الخطباء واتباع نصحهم لبناء مجتمع متعاون قادر على التعايش بين جميع الطوائف والملل والنحل لنترك إرثا طيبا لأن "مجد السَّلف نور الخلف" إذا اقتبسوا روائعهم وأكملوا مشوار التجديد. ولا ريب أن يوم الجمعة يوم جليل جميل؛ بهي مهيب، حافل بأنفس المجالس لحث الناس على العلم النافع والعمل الصالح وهما قرينان ولا يستغني أحدهما عن الآخر بحال من الأحوال.

وفي هذا السياق الواسع فإن خطب الجمعة تتضمن سجلات حافلة لذاكرة الأمة وذوقها وتجاذباتها ونبضاتها، وتشهد بوضوح حركة المجتمع واتجاهاته وآماله ومخاوفه بل يوم الجمعة – إذا تم استثماره على وجه صحيح – يمثل أهم لقاء روحي وثقافي يتدفق بالمحبة والحكمة كل أسبوع.

قال تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)" (سورة الجمعة).

أسلوب الشيخ الخطابي

تتسم خطب الشيخ خليل محمد أبو طالب بدقة انتقاء العبارة، وسهولة عرضها، وهي في مجملها مرصعة بالآيات ومزينة بالأحاديث النبوية الشريفة مع قدرة واضحة في توظيف الشعر العربي وما فيه من خيال خصيب في رفد مواعظه في إطار التركيز على المسائل الكبرى والقيم الحضارية.

كشف الشيخ في آثاره عن إيمانه العميق بأهمية الدين في تنمية الفرد، وإصلاح المجتمع في ظل حياة مدنية تحترم قيم العمل والعطاء وتقدر اتقان الأداء. وبما أن الشيخ من حفاظ كتاب الله سبحانه فإنه متمكن غاية التمكن من ايراد الآيات على نحو يتفق مع أهداف الخطبة المنبرية. وأخيرا يمتاز أسلوب الشيخ خليل بجزالة اللغة، وصدق اللهجة، ووضوح الفكرة، وتنوع الموضوعات، وايجاز العبارة، واعتماد منهج التيسير ونبذ الغلو. ولهذا كان يؤمن بأهمية الفنون الهادفة في إثراء الحياة.

آمن فضيلة الشيخ خليل أبوطالب بأهمية الموعظة وخطبة الجمعة التي تستند إلى فنون التعليم والتعليل، وتعمل على ايقاظ الضمير وتهذيب النفس وصقل المهارات. كتب الشيخ خليل أبو طالب في كتاب السبق التربوي "الوعظ والموعظة: نصيحة بعمل الخير واجتناب الشر بأسلوب مفعم بالترغيب والترهيب يرقق القلب ويلهب العاطفة ويحرك النفس ويبعث الإنسان على الإحسان في القول والعمل. وما أعظم فعلها وأقوى تأثيرها في ميدان التربية ومجال التأديب والتثقيف. فكم من موعظة بليغة تغلغلت في أعماق القلوب وعملت عملها في النفوس فأحيت أمما وأيقظت مجتمعا وغيرت وجه الحياة وأصلحت عوجها وعدلت سلوكها وأكسبت خلقا وفضلا. ولا ريب في أن الموعظة لون عظيم من ألوان التربية، وأسلوب حكيم من أساليب التزكية والتأديب والتعليم وقد اختارها الله عز وجل نمطا للهدى وأسلوبا للتغيير" (ص 294).

ويعتقد بعض الباحثين أن "أرقى أساليب التربية تحصر طرق التدريس في طريقتين الطريقة الإلقائية والطريقة الاستنباطية وقد استعملهما صلى الله عليه وسلم في التدريس

لأمته فاستعمل الطريقة الإلقائية في خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وفي الحج وفي المناسبات واستعمل طريقة الاستنباط والسؤال والجواب في دروس العلم وكان تارة يقول اسألوني ويجيب على أسئلتهم وتارة يسأل وينتظر جوابهم ليثير فيهم حب البحث والفهم ... تارة يسأل ولا ينتظر الجواب بل يجيب هو وفائدة سؤاله في هذه الحالة إثارة انتباههم للجواب ليتمكن في نفوسهم"[1].

لا شك أن تشكيل الوعي الديني رسالة عميقة الأثر في الإرشاد المجتمعي ولهذا فإن خطبة الجمعة ركيزة أساسية في هذا المضمار. إن خطب الشيخ خليل المنبرية، وقصيدته المشرقة عن الشافعي، وكتاباته تدل بجلاء أن للشيخ خليل غزارة في الألفاظ، ودِقَّة في التَّعبير وحرص على اختيار أنسب الكلمات والأوصاف والاقتباسات والحكايات لأداء المعنى، وتشكيل الوعي الديني، وتقديم الموعظة الحسنة، وترتيب الأفكار بوضوح.

[1] فتح المنعم شرح صحيح مسلم (10/ 420). الكتاب من تأليف موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م، المكتبة الشاملة.

نماذج من الخطب المنبرية للشيخ خليل أبوطالب

تداووا يا عباد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير، أحمده سبحانه، أنزل الكتاب على خاتم أنبيائه نوراً وهدىً وجعله علاجا نافعاً وشفاءً نافعاً لأمراض القلوب والأبدان "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ»[1]. "قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ[2]". أستغفر الله وأتوب إليه؛ يكشف الضراء ويهب الشفاء فلا شفاء إلا شفاؤه.

وأصلي وأسلم على عبده ومصطفاه سيدنا محمد خير من عالج الداء ووصف الدواء حتى أصبح الطب الإسلامي يسجل كل معجزة من معجزاته الطبية. اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأبرار والدعاة الأخيار الذين تمسكوا بهديه فخراً [فعز] جانبهم، ودالت لهم الدنيا وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد ،،،،

فيا أتباع النبي الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه: في معرض الثناء على ربه والتمجيد لخالقه يرد أبو الأنبياء ابراهيم عليه السلام على قومه مبيناً لهم أن الذي يملك النفع والضر هو الله رَب الْعَالَمِينَ (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿78﴾وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿79﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[3].

وحين خلق الكون وقدر فيه الحياة خلق الإنسان خليفته في أرضه، ليعمر كونه ويحيي أرضه يستخرج منها خيراتها وبركاتها وكنوزها وثرواتها ويشيع الخير والنماء في

---

[1] سورة يونس، الآية 57.

[2] سورة فصلت: الآية 44.

[3] سورة الشعراء.

على منهج الله تعالى أمة القرآن. تلك الأمة صاغها الله لتكون المثل الأعلى الذي أراده الله للبشرية "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ"[1].

نعم إنها الأمة التي تحقق مراد الله في الوجود تحل حلاله، وتحرم حرامه، وتقيم شرعه وتحقق العدل والحق والسلام وتظل الانسانية الظلال الوارفة من الرحمة والمودة والوئام وتجعل الدنيا كلها محرابا للعبادة وكدح في الأرض فيما ينفع عباد الله وتلك هي العبادة الحقه التي أرادها بقوله "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ"[2]، وهي بمعناها الواسع الشامل ما أمر به نبيه في قوله "قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"[3].

والحق أن هذه الأعباء الضخمة والتكاليف الفارعة لا يقدر على حملها إلا الرجال الأقوياء الأسوياء ولا يقوى على النهوض بها إلا المؤمنون الأصحاء ذوي العزائم الوثابة والهمم الطموحة. إن الضعفاء لا يصلحون لقيادة البشرية ولا ينفعون في إدارة دفة الحياة بل دورهم دائماً للوراء ومكانهم الضياع والانزواء.

ومن هنا نجد الرجال الذين رشحتهم العناية الإلهية المصطفين الأخيار من أقوى الناس جميعاً صحة، وأمتنهم بنية وأقدرهم على أداء تكاليف الحياة، ومن هنا أيضا كان من المقاصد السامية والغايات الهامة للإسلام الحنيف حماية الإنسان من نفسه ورعاية صحته والمحافظة على حياته وأعضائه والله تعالى يقول "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا"[4].

---

[1] الآية ﴿ 110 ﴾ آل عمران.

[2] الآية ﴿56﴾ الذاريات.

[3] ﴿162-163﴾ الأنعام.

[4] الآية ﴿29﴾ النساء.

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً وَمَنْ تَحَسَّى سُمّاً فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِداً مُخَلَّداً فِيهَا أَبَداً.[1]

عباد الله: الدنيا ميدان بلاء والإنسان خلق للابتلاء وتلك سنة الله في أرضه يمتحن الإنسان في نفسه وفي ماله وفي مآله ولا يعلم الخير في ذلك إلا الله "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"[2]. وصدق القائل:

قَدْ ينْعِمُ اللهُ بِالبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ

فقد يذوق الإنسان المرض تكفيرا لذنوبه وتطهيرا له من آثامه ورفعا لدرجاته فقد عاد الرسول مريضا فقال "لَا بَأسَ طَهورٌ إنْ شَاء اللَّهُ"[3]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا يُصِيبُ المسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ"[4].

إن المريض يجأر بالدعاء ويرفع أكف الضراعة طالبا للشفاء فيكون في معية الله تعالى فيستجيب الله دعاءه ويحقق رجاءه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ

---

[1] البخاري، انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، المجلد العاشر، كِتَاب الطِّبِّ، باب شُرْبِ السُّمِّ وَالدَّوَاءِ بِهِ وَبِمَا يُخَافُ مِنْهُ وَالْخَبِيثِ.

[2] سورة الأنبياء: الآية (35).

[3] صحيح البخاري (4/ 202).

عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي[1]".

ومن قبل رفع أيوب أكف الضراعة لربه "أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)"[2]. طلب أيوب عليه السلام العافية، ورجاء الشفاء أمر مطلوب، وصدق رسول الله إذ يقول "وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي"[3] وكان من دعائه اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري "اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا

---

[1] صحيح مسلم (4/ 1990). قال النابلسي (محمد راتب النابلسي) في موسوعته "أول معاني هذا الحديث أن الله عز وجل في علاه وتباركت أسماؤه، الذات العلية، خالق السموات والأرض، يحب عباده ويرحمهم، فعبر عن مرض عبده بأنني مرضت، وهذا الأسلوب في التعبير مألوف عند الأمهات، فإذا مرض ابنها من شدة محبتها له، وشدة رحمتها به، ومن شدة رأفتها به، كأنها هي المريضة " قال: مرضت " والحقيقة لو علم الناس ما عند الله من الرحمة، لو علم الناس رحمة الله عز وجل، وأن كل ما ترى في الأرض من رحمات، من رحمة الأمهات بأبنائهم، من رحمة أمهات البهائم بأولادهم، لعجبت أن كل هذه الرحمة مشتقة من رحمة الله عز وجل".

[2] سورة الأنبياء.

[3] وهو جزء من دعاء؛ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى عَدُوٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ". تفسير البغوي (7/ 265). وجاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (المجموعة الثانية: 208/3) هذا الحديث ضعيف من جهة إسناده، وفي موقع سؤال وجواب (سؤال رقم: 148943) "غير أن العلماء ما زالوا يوردون هذا الحديث في كتبهم، وذلك لأسباب عدة:

1- أن ضعف إسناده ضعف يسير؛ لأن احتمال الاتصال فيه قائم.

2- وما زال العلماء يتسمَّحون في رواية الأحاديث اليسيرة الضعف، في أبواب السير والمغازي والفضائل.

3- ثم إن كثيرا من أهل العلم تناقلوا الحديث معتمدين له ، ومستشهدين بما ورد فيه.

وهذا الذي ذكرناه لا يعني صحة الحديث، لكنه فقط بيان لعذر من ينقله ويرويه من أهل العلم، وبيان ـ أيضا ـ لجواز الاستئناس به في معرض السير والفضائل، لكن يساق بصيغة التمريض والتضعيف: رُوي، أو: حكي" (باختصار).

وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا[1]".

والله جل جلاله هو الذي يمنح العافية، ويهب الشفاء.

ربط الإسلام الأسباب بالمسببات وعلق النتائج على المقدمات. والقرآن الكريم يوجهنا إذا ألم بنا المرض أن نسعى للعلاج ونبحث عن الدواء فيذكر في أكثر من موضع المرض والشفاء «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً»[2]، ويبين من أنواع الدواء في القرآن في قوله «يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ»[3]، أي عسل النحل ومن هنا يروي البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ اسْقِهِ عَسَلاً ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلاً ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: اسْقِهِ عَسَلاً ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ اسْقِهِ عَسَلاً فَسَقَاهُ فَبَرَأَ[4]» .

ولا يظنَّ ظانٌ أن طلب الدواء والسعي إلى الأطباء لابتغاء الشفاء ينافي التوكل على الله فإن المرض قدر الله، والشفاء لله والصحة نعمة ما أعظمها من نعمة، وفي صحيح البخاري «عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[5] فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ». وقد قيل إن الصحة تاج

---

[1] سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر (5/ 528).

[2] سورة الإسراء: الآية (82).

[3] سورة النحل (69).

[4] "ويتركَّبُ على هذا أصلٌ عظيمٌ من الطِّبِّ، وهو أنّ الدّواء إذا لم يَرْفَعِ الدّاءَ، فلا يُخْرِجُه ذلك عن أنّ يكونَ دواءً؛ فإنّ الباريءَ سبحانه إنَّ شاء أنّ يَخْلُقَ الشّفاءَ عَقِبَ الدواءِ خَلَقَ، وإن شاءَ أنّ يَمْنَعَ مَنَعَ." المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (7/ 455)، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي (ص: 1131).

[5] "إيش معنى مغبون؟ يعني باعها برخص... مغبون، صحة تضيع بدون عمل صالح، أو فراغ يضيع بدون عمل! كثير من الناس يضيع هذه الصحة من دون عمل، وإذا علم الإنسان أنه يكتب له إذا مرض مثل ما كان يعمله صحيحاً استغل

وقدر المرض والشفاء وفي الحديث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً[1] إِلَّا السَّامَ، وَهُوَ الْمَوْتُ[2].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»[3]. وفي الحديث "سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ رُقىً نسترْقيها ودواءً نتداوى به وتقاةً نتقِيها[4] هل تردُّ من قدرِ اللهِ شيئًا؟ قال: هي منْ قدرِ اللهِ".[5]

والعجب العاجب أن النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه بين الكثير من الطب الوقائي والطب العلاجي مما يعتبر أساسا عظيما وأصلا راسخا في هذا الميدان إلى "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[6]. وفي الحديث "نَحْنُ قَوْمٌ لا نَأْكُلُ حتَّى نَجُوعَ، وإذا أَكَلْنَا لا نَشْبَعُ"[7]. [إنك لو تحليْتَ بهذا الأدب في مسألة الطعام والشراب لكفتْك اللقمة

وقت الصحة من أجل أنه إذا مرض يكتب له نفس العمل". شرح الأربعين النووية – عبد الكريم الخضير (2/ 24، ، 14/ 41، بترقيم الشاملة آليا).

[1] "والداء خروج الجسم عن المجرى الطبيعي، والمداواة رده إليه، وحفظ الصحة بقاؤه عليه، بإصلاح الأغذية والبعد عن أسباب المرض، ورده يكون بالموافق من الأدوية... ولا يقال: نجد كثيرين من المرضى يداوون، فلا يبرؤون، فإنما ذلك لفقد العلم بحقيقة المداواة، لا لفقد الدواء، فدواء كل مرض موجود، لكنه قد يدق، ويخفى على الأطباء". فتح المنعم شرح صحيح مسلم (8/ 582) من تأليف موسى شاهين لاشين.

[2] المعجم الصغير للطبراني (1/ 73)؛ الجامع الصحيح للسنن والمسانيد لصهيب عبدالجبار (3/ 464).

[3] سنن أبي داود (4/ 3).

[4] قَوْلُهُ: (وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا) أَيْ مَا نَتَّقِي بِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْنَا مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي لَا نُرِيدُ وُقُوعَهَا بِنَا. نيل الأوطار للشوكاني (8/ 231)

[5] ورد في موقع الدرر السنية: "الراوي : يعمر العذري والد أبي خزامة، المحدث: الترمذي، المصدر : سنن الترمذي، خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح.

[6] سورة المطففين: 6.

[7] حديث (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع) لا أصل له. ورد في موقع إسلام سؤال وجواب: "لم نعثر على هذا الحديث – بعد البحث والتفتيش – في كتب السنة النبوية، ولم يذكره . فيما وقفنا عليه . سوى برهان الدين الحلبي في

واللقمتان، وأشهى الطعام ما كان بعد جوع مهما كان بسيطاً. أما الآن، فنرى الناس يلجئون إلى المشهّيات قبل الطعام، وإلى المهضِمات بعده، لماذا؟ لأنهم خالفوا هَدْي رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فهم يأكلون على شِبَع، ويأكلون بعد الشِّبَع][1].

ويقول صلى الله عليه وسلم «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ؛ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[2].

[وبهذا المنهج الغذائي الحكيم نضمن بنية سليمة وعافية لا يخالطها مرض][3].

وفي السنة أحاديث كثيرة اشتملت على طريقة رسول الله صلى الله عليه في العلاج من كثير من الأمراض وهي بحق تعد من أجود الطب وأنفعه وأرفعه وكيف لا وهي صادرة عن المؤمن بالوحي من عند الله تعالى. ومن صور الحَجْرُ الصحي[4] ما ورد عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، بَعْدُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ"[5]. والقرآن الكريم يوجهنا إذا ألم المرض أن نسعى للعلاج ونبحث عن الدواء فيذكر في غير موضع عن المرض والشفاء "وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

"السيرة الحلبية" (295/3) من غير إسناد ولا عزو لكتب الأثر، ولذلك فلا تصح نسبة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما قد يكون في معناه بعض التردد. قال الشيخ الألباني رحمه الله : هذا القول الذي نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا أصل له". وفي مجموع فتاوى ابن باز (4/ 122) يروى أنهم قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع» يعنون أنهم مقتصدون. هذا المعنى صحيح لكن السند فيه ضعيف.

[1] تفسير الشعراوي (18/ 11192).

[2] رواه أحمد والترمذي.

[3] تفسير الشعراوي (18/ 11074).

[4] الحَجْرُ الصحي (Quarantine) "عزل أشخاص بعينهم، أو أماكن، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى . وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية، في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها" (الموسوعة العربية العالمية). في جائحة كرونا كوفيد 19 الحجر الصحي وفقا لمنظمة الصحة العالمية 14 يوم، وفي السياسة الصحية الاحترازية في دولة الكويت 28.

[5] صحيح البخاري (7/ 138).

لِلْمُؤْمِنِينَ"[1]، ويبين من أنواع الدواء في القرآن كقوله عز وجل "يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ"[2]، أي أن في عسل النحل شفاء.

معاشر المؤمنين: إن الوقاية خير من العلاج، وإن من أوجب الواجبات في هذه الأجيال أن تستنهض العزائم وتعبأ الأجهزة في كل ميدان لمحاربة أمراض قتَّالة وعادات مزمنة اشتهرت في مجتمعاتنا فاستعبدت الناس وجعلتهم أسرى لها لا يستطيعون منها فكاكا مع أنه قد ثبت علميا وواقعيا أضرارها التي لا تحد. ومن تلك العادات المرذولة هي التدخين التي تلتهم الأموال وتدمر الصحة والله تعالى يقول: "وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[3]، والقاعدة أن ما كان ضرره ذاتيا فهو حرام والإسلام جاء ليحفظ للإنسان خمسا؛ دينه ونفسه وعقله ونسله وماله وأن أي اعتداء على واحد من هذه الخمسة يلحقه التحريم.

والعجيب أن الإنسان يقرأ ويسمع كل يوم النشرات الطبية التي تثبت أخطاره المدمرة على كل أجهزة الجسم وأعضائه من الجهاز العصبي اللاإرادي إلى القلب إلى المخ إلى تلف العين إلى الجهاز الهضمي إلى الجهاز الدوري[4] فهو متلف لكل أجهزة الجسم، يتسبب في التهاب مزمن في الجهاز التنفسي مما يؤدي إلى صعوبة التنفس ويفقد الشهية ويسبب سوء الهضم وضيق الشريان التاجي ويتسبب في أعراض الذبحة الصدرية.

---

[1] الإسراء: 82.

[2] النحل: 69.

[3] البقرة: 195.

[4] الجهاز الدوري (Circulatory system) "شبكة تحمل الدم خلال الجسم. ويوجد بكل الحيوانات، فيما عدا الأنواع البسيطة جدًا منها، والتي لها نوع ما من الجهاز الدوري... يزود الجهاز الدوري في الإنسان خلايا الجسم بالغذاء والأكسجين اللازمين لحياته، وفي الوقت نفسه يحمل ثاني أكسيد الكربون وغيره من الفضلات بعيدًا عن تلك الخلايا. كما يساعد الجهاز الدوري، على تنظيم درجة حرارة الجسم. وكذا يحتوي على مواد تحمي الجسم من الأمراض. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجهاز الدوري ينقل مواد كيميائية تُسمى الهورمونات، تسهم في تنظيم أنشطة مختلف أعضاء الجسم". الموسوعة العربية العالمية.

المدخنون أسرى لها لا يستطيعون منها فكاكا إنها تلتهم أموالهم وتدمر صحتهم وتأتي على أسرهم وقد ثبت علميا وواقعيا ضررها وآثارها السيئة. والله تعالى يقول {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[1]، والقاعدة الدينية أن ما كان ضرره ذاتيا يحرم في كل الشرائع وأنه لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ[2]، وأخطر الضرر الإنسان لنفسه وأهله وقد جاء الإسلام ليحفظ للإنسان أمورا خمسا واعتبر أي ضرر يلحق واحدا منها حراما مؤكدا 1- الدين، 2- النفس، 3- العقل 4- المال، 5- النسل، فلنتق الله ولنحافظ على ديننا فهو أغلى شيء في حياتنا ولنحافظ على صحتنا وعقلنا ولنرع الله في مالنا ولنتق الله في عرضننا ونسلنا فإننا مسئولون أمام الله عن كل ذلك ومسئولون عن أهلنا وأولادنا؛ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ"[3].

إن المريض ينبغي عليه أن يبحث عن الطبيب الحاذق ويعرض نفسه عليه ويأخذ بإرشاداته وما يصفه له من دواء ثم يدعو الله تعالى الذي بيده الأمر كله أن يحقق له الشفاء ويكون بالصيغ المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المعنى هام جدا وقد غفل عنه كثير من الناس **فالبعض يقتصر على الدواء، والبعض منهم يكتفي بالدعاء وكلاهما مجانب للصواب بعيد عن السنة والكتاب فلابد من استعمال الدواء والدعاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بالاثنين معا فلا يكفي أحدهما عن**

---

[1] سورة البقرة: 195.

[2] عنْ أَبي سَعيدٍ سَعدِ بنِ مَالِك بنِ سِنَانٍ الخُدريّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) حَدِيْث حَسَنٌ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ، وَالدَّارَقطْنِيّ وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدَاً. فالقاعدة: متى ثبت الضرر وجب رفعه، ومتى ثبت الإضرار وجب رفعه مع عقوبة قاصد الإضرار. انظر: شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: 326).

[3] التحريم: 6.

الآخر فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا بكتابه واهتدوا بهدى نبيه واطلبوا الشفاء من الله وتداووا كما أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم تفلحوا في الدنيا وتفوزوا في الآخرة. عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[1] أو كما قال.

[الخطبة الثانية]

الحمد الله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلاة وسلاما وبركة على مولانا رسول الله سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمرسلين وعلى آلة وصحبه أجمعين عباد الله شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي والعلاج وأمرنا باتخاذ الأسباب وحضنا على عيادة المرضى وجعل ذلك طريقا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا دعا له بالشفاء ومن دعائه في ذلك أنه كان يضع يده على المريض ويقول: أسألُ اللهَ العظيمَ، رب العَرشِ العظيم، أن يَشْفِيَكَ، يكررها سبع مرات ويقول: "أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"[2]. فما أحوجنا أن نتأسى به وأن نسير على نهجه وأن نتقرب إليه بطلب العلاج والدواء والتضرع إليه جل جلاله بالدعاء حتى يهبنا جميعا العافية ويلبسنا ثوب الصحة وينعم علينا بالسلامة، اللهم اشف مرضى المسلمين وارحم موتاهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر الإسلام والمسلمين وأن تعلي بفضلك الحق والدين.

اللهم اجمع أمة الإسلام على كلمة واحدة وألف بين قلوب ملوكها وأدائها واجمعهم على محبتك وطاعك والعمل بكتابك وسنة نبيك. "اللهم وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه

---

[1] صحيح مسلم (4/ 1729).

[2] انظر صحيح البخاري (7/ 121)، مختصر صحيح مسلم للمنذري تحقيق الألباني (2/ 383)، سنن ابن ماجه (1/ 517)، سنن أبي داود (4/ 10)، سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر (5/ 561).

وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه"[1] « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيْبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا[2]. واختم لنا بالباقيات الصالحات أعمالنا يا رب العالمين.

عباد الله إن الله يأمرنا {بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[3].

---

[1] "هذا دعاء مأثور عن عمر –رضي الله عنه–. وهذا الدعاء من الأدعية الجامعة النافعة، ومعناه أن العبد يسأل ربه تبارك وتعالى أن يوفقه لمعرفة الحق والصواب في كل ما حصل فيه الاختلاف بين الناس من مسائل العلم، وفي كل ما يستجد من أمور للعبد في حياته ويسأل الله أن يرزقه اتباع الحق والثبات عليه، كما أنه يسأل ربه أن يوفقه لرؤية الباطل باطلاً وضلالاً ويرزقه اجتنابه" ذكره محمد بن عبد الله القناص (عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم) في فتاويه باختصار، انظر موقع الفتاوى: http://www.islamtoday.net/fatawa/quesshow-60-30075.htm.

[2] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (5/ 1726).

[3] سورة النحل: 90.

طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم

العناصر: طاعة الله تعالى أساس السعادة في الدنيا والآخرة، موقف المؤمنين في عهد الرسول من الطاعة.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (سورة آل عمران: 132). إن الله تعالى خلق في الدنيا سعادة وشقاء وخلق في الآخرة كذلك سعادة وشقاء، وجعل الله تعالى أساس الشقاء في الدنيا والآخرة عصيان الله ورسوله. قال تعالى {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (سورة الشورى: 30). أطاع أصحاب الرسول أوامر الله واجتنبوا نواهيه، ففتح الله عليهم كنوز كسرى[1] وقيصر، وأيدهم الله بنصر من عنده، وعصينا نحن الله ورسوله فابتلينا بالاستعمار. ورد في الأثر "ما زلتم منصورين على أعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتي، فإن خرجتم من سنتي، سلط الله عليكم من عدوكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي"[2].

والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحافظون على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، ويخافون من سخط الله تعالى وسخط رسوله، ولا عجب في ذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن أصحابه فيقول "أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ[3]".

---

[1] ورد في السنن الكبرى للبيهقي (9/ 298) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ فِيهِ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى". قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ ". قَالَ عَدِيٌّ: وَكُنْتُ مِمَّنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ.

[2] لم نعثر على نص الحديث وسنده في كتب الحديث النبوي. ذكر الحديث: محمد بن جعفر الكتاني في كتابه نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام (الدين الخالص). ص 181. دار الكتب العلمية. بيروت.

[3] الشريعة للآجري (4/ 1690)، ورد في كشف الخفاء للعجلوني "رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم." وورد في موقع الدرر "الراوي عبدالله بن عمر و عمر بن الخطاب وأبو هريرة، المحدث : ابن الملقن |المصدر : خلاصة البدر المنير، الصفحة أو الرقم | 2/431 :خلاصة حكم

وفيما يرويه أنس سترى الشباب والشيوخ والأغنياء حتى البنت البكر يحافظون على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله. [وفي الأثر] عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَمْنَعُنِي سَوَادِي وَدَمَامَةُ وَجْهِي مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: "لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَيْقَنْتَ بِرَبِّكَ وَآمَنْتَ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ؟ " قَالَ: فَوَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِالنُّبُوَّةِ لَقَدْ شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ أَجْلِسَ هَذَا الْمَجْلِسَ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَلَقَدْ خَطَبْتُ إِلَى عَامَّةِ مَنْ بِحَضْرَتِكَ وَمَنْ لَيْسَ مَعَكَ ..."[1] .[ذكر فضيلة الشيخ خليل أبو طالب القصة بتمامها ولم نذكرها هنا لضعف سندها، وغرابة متنها].

المحدث: أسانيدها كلها ضعيفة". وفي كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق مشهور بن حسن آل مشهور (3/ 543): "هذا الحديث قد روي من طريق الأعمش، عن أبي سُفيان، عن جابر، ومن حديث سعيد بن المسيب عن عمر، ومن طريق حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر، ولا يثبت شيء منها".

[1] ورد في موقع الدرر السنية: الراوي : أنس بن مالك | المحدث : ابن عدي، المصدر : الكامل في الضعفاء، الصفحة أو الرقم | 7/431 :خلاصة حكم المحدث : منكر بهذا الإسناد.

الأخوة الإسلامية

العناصر : المدينة المنورة مهد الأخوة والوحدة ، تمسك المسلمين بالأخوة، ثمرتها.

أيها المسلمون: جاءت شريعة الإسلام السمحة، خيراً وبركة على الإنسانية، وهدى ونورا، بعد ظلام الشرك وأدران الجاهلية، وقد كانت المدينة المنورة مهد هذه الوحدة المقدسة، ومكاناً لتلك الأخوة الخالصة، حيث آخى " صلى الله عليه وسلم" بين الأوس والخزرج، بعد عداوة دامت عشرات السنين، ثم آخى عليه السلام بين الأنصار والمهاجرين. ودعم هذه الأخوة الصادقة بروح الإيمان، وصقلها بنور القرآن {وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} (النور: 40). فصاروا بذلك أمة واحدة وكتلة متماسكة، امتلأت قلوبهم بالصدق والرحمة، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (سورة التوبة: 71)، بهذه الأخلاق الكريمة والأعمال الجليلة ، كانت الأمة الإسلامية منيعة الجانب ، قوية البأس، ثابتة البنيان، واسعة النفوذ، خضعت لها الأكاسرة والقياصرة[1]، ومكن الله تعالى لها في الأرض، فنشرت قواعد الإصلاح في كل نواحي الحياة، وحقق الله لها وعده في قوله {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (سورة النور: 55).

---

[1] "كان الرجال والنساء من الفرس والروم يتحلون بالذهب، وكان الأكاسرة والقياصرة وذوو الجاه والأموال يلبسون الأساور الذهبية العريضة التي تملأ الساعد، ويتخذون القلائد والتيجان والسلاسل الذهبية كمظهر من مظاهر الزينة والفخر والخيلاء والكبر والعلو في الأرض... كانوا يأكلون ويشربون في أواني الذهب والفضة، ومثل ذلك وأكثر كان الفراعنة في مصر يفعلون، وما الآثار الذهبية لتوت عنخ آمون إلا رمز لهذه المظاهر". فتح المنعم شرح صحيح مسلم (8/ 349). الكتاب من تأليف موسى شاهين لاشين، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م، المكتبة الشاملة.

أذكر لكم مثلاً من أمثلة الحياة الطيبة والأخوة الصادقة للأمة الإسلامية في مبدأ أمرها، حين كانت متمسكة بدينها، محافظة على تقاليدها، ففيه عظة وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

لما تولى أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، أسند قضاء المدينة إلى عمر رضي الله عنه، فمكث عمر سنة كاملة لم ترفع إليه قضية، ولم تقدم إليه شكوى، فجاء إلى أبي بكر رضي الله عنه، يطلب إعفاءه من وظيفة القضاء، فسأله عن السبب فقال "إن قوماً يوقر صغيرهم كبيرهم، ويرحم كبيرهم صغيرهم، ويواسي غنيهم فقيرهم، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ينصفون أعداءهم من أنفسهم، القوي فيهم ضعيف حتى يؤخذ الحق منهم، والضعيف فيهم قوي حتى يؤخذ الحق له، إذا مرض أحدهم عادوه وإذا مات شيعوه واتبعوه. قوم هذا شأنهم، لا حاجة لهم بقضاء عمر"[1].

أيها المسلمون لقد مضى على هذه الأخوة الدينية ما يقرب من أربعة عشر قرناً، وهي لا تزال محببة من قلوب المؤمنين الصادقين، يحوطونها بالإكبار والتقدير، والإجلال والتقديس، فاتقوا الله ووثقوا أواصر هذه الأخوة الكريمة، فإنها مصدر قوتكم، ومدار سعادتكم، {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (سورة آل عمران: 103).

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[2]. وعن أبي بُردةَ عن أبي موسى الأشعريّ قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّم: المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يَشدُّ بعضهُ بعضاً"[3].

---

[1] ما ذكر في القصة من كون عمر استعفى أبا بكر رضي الله عنهما من القضاء، لأنه لا حاجة للمسلمين في هذا الزمان إلى قاض يقضي بين الناس: غير صحيح. انظر موقع الإسلام سؤال وجواب 291740.

[2] صحيح مسلم (4/ 1999).

[3] رواه الترمذي.

روح الإسلام العمل

العناصر: شرح العمل في الإسلام، أهدافه، مكانة السعي على العيش في الإسلام، ثمرته.

الحمد لله الذي بسط الأرض وجعلها ذلولاً للسعي في طلب العيش، أستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نهى عن التواكل والكسل، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله، أخذ رزقه عن طريق الجد والعمل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها المسلمون : ليس العمل في الإسلام قاصراً على التعبد وإقامة الشعائر، وليس العمل الديني هو عمل الإنسان لنفسه وحده، وليس مكان العمل خاصاً بمساجد الله تعالى، وفهم الدين بهذا اللون تضييق له، وحصر لتعاليمه، وسلخ له عن الحياة، وقطع لحباله المتينة التي تربط بين أفراده. قال الله لنا {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، (سورة التوبة: 105)، فليس القصد أن نكتفي بصلاة وتسبيح، أو نتمايل في حلقات تنسب للذكر، وهي رقص ماجن على نغمات الدفوف، وإنما أمرنا بالعمل لربنا نعبده، ولديننا ننصره ونتمسك به، و لأهلنا نصلهم، ولوطننا نخدمه ونفديه بالنفس والمال، وأن نعمل لبلادنا، نستخرج خيراتها، ونضرب في الأرض باحثين مصلحين. قال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (سورة الملك: 15).

ويقول سبحانه {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (سورة القصص: 77). فجعل لنا نصيبا في الدنيا يجب أخذه ومقصدنا الآخرة، ولن نفوز في الآخرة إلا إذا قمنا بما فرضه الله علينا، من خدمة الفرد والمجموع، والدين والوطن.

ولقد وضع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" نظاماً للعمل، يتفق مع العقل، ومطالب الحياة، فقال: "ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، وإنما خيركم من أخذ من دنياه لآخرته"[1]، فأمرنا بأن نأخذ من الدنيا أفضل ما فيها، لنكون في الآخرة خير من فيها.

الدنيا ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مزرعة الآخرة وفي سبيلها، فمتى طلبها الإنسان من طريق حلال لغرض شريف، كان من العاملين العابدين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من طلب الدنيا حلالا وتعففاً عن المسألة، وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره، لقى الله تعالى ووجه كالقمر ليلة البدر"[2]. هذا قانون نبوي يقضي على التسول والبطالة، وزهادة العجز، ويحض على العمل المنتج، وحفظ الكرامة والعزة، حتى لا يبقى عاطل عالة على غيره. قال رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس"[3]. وقال أيضاً " مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا

---

[1] لم نجد الحديث بهذا النص والذي عثرنا عليه في كشف الخفاء للعجلوني ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه." رواه ابن عساكر والديلمي عن أنس بلفظ ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس، وأخرجه أبو نعيم والخطيب في تاريخه والديلمي من وجه آخر." وفي كتاب إصلاح المال (ص: 34) لابن أبي الدنيا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ خَيْرُكُمْ مَنْ تَرَكَ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا مَنْ تَرَكَ آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، حَتَّى يَنَالَ مِنْهَا، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مُبَلِّغَةٌ إِلَى الْأُخْرَى، وَلَا تَكُونُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ».

2 ورد في تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي (المجلد الثاني – كتاب آداب الكسب: الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه) حديث "من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر" أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية. والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. وفي كتاب تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (2/ 1019): وفي الخبر إن الله يحب المؤمن المحترف: أي الذي له صناعة يكتسب منها فإن قعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة.

[3] ورد في تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي (المجلد الثاني – كتاب آداب الكسب: الباب الأول في فضل الكسب والحث عليه). حديث "إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة" لم أجده هكذا، وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي "إن الله يحب أن يرى عبده تعبا في طلب الحلال" وفيه محمد بن سهل العطار قال الدار قطني: يضع الحديث.

مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[1].

وفي الأثر "إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهم في طلب المعايش".

ويقول المتصوف[2] الصادق أبو سليمان الداراني[3] "ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك في الصلاة وغيرك يقوت[4] لك إنما العبادة: أن تبدأ برغيفيك فتحوزهما ثم تتعبد [قال العسقلاني في الفتح: العيش من عمل المرء بتجارة أو حرفة أولى لنزاهة الأخلاق من العيش بالهبة ونحوها]. كَانَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم جَالِسا مَعَ أَصْحَابه ذَات يَوْم فَنظر إِلَى شَاب ذِي جلد وَقُوَّة وَقد بكر يسْعَى، فَقَالُوا: وَيْح هَذَا، لَو كَانَ شبابه وَجلده فِي

---

[1] رواه البخاري "وَفِي الْحَدِيثِ فَضْلُ الْعَمَلِ بِالْيَدِ وَتَقْدِيمُ مَا يُبَاشِرُهُ الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ عَلَى مَا يُبَاشِرُهُ بِغَيْرِهِ وَالْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ دَاوُدَ بِالذِّكْرِ أَنَّ اقْتِصَارَهُ فِي أَكْلِهِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ بِيَدِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّمَا ابْتَغَى الْأَكْلَ مِنْ طَرِيقِ الْأَفْضَلِ وَهَذَا أَوْرَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِصَّتَهُ فِي مَقَامِ الِاحْتِجَاجِ بِهَا عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ أَنَّ خَيْرَ الْكَسْبِ عَمَلُ الْيَدِ وَهَذَا بَعْدَ تَقْرِيرِ أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا وَلَا سِيَّمَا إِذَا وَرَدَ فِي شَرْعِنَا مَدْحُهُ وَتَحْسِينُهُ مَعَ عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى فبهداهم اقتده وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ التَّكَسُّبَ لَا يَقْدَحُ فِي التَّوَكُّلِ وَأَنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ بِدَلِيلِهِ أَوْقَعُ فِي نَفْسِ سَامِعِهِ" فتح الباري لابن حجر (4/ 306).

[2] يقول عبد الحميد مدكور "يوجد بين الصوفية: السابقون المقربون والمقتصدون الذين هم من أهل اليمين، وفيهم من هو ظالم لنفسه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن المحققين من الصوفية يتبرؤون منهم وينكرونهم. ولعل هذا الموقف هو أولى الآراء بالقبول، لأنه أقرب إلى الموضوعية والإنصاف، وأبعد من التعميم والتعصب المذموم. وينبغي ونحن نتحدث عن التصوف ألا نغفل عما حفل به التصوف من تربية أخلاقية وتحليلات نفسية كانت موضع إعجاب الدارسين في الشرق والغرب، وقد كان للصوفية المسلمين دورهم في نشر الإسلام، في كثير من بقاع الأرض في آسيا وإفريقيا قديما، وفى أوروبا حديثا، وهو دور معروف لدى المؤرخين"، (موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة الصادرة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر). ومن الغرائب التي تلاصق التصوف اليوم في عدد من المذاهب والمدن أن قبور الصالحين تحولت إلى مزارات لطلب العلاج مع ترويج عبارة، وقبره "ظَاهر يستشفى بِهِ ويتبرك بزيارته" كما يتم بناء مزارات الأولياء على نحو فخم يفوق بناء المراكز الصحية التي تعاني من نقص المعدات اللازمة.

[3] ورد في البداية والنهاية لابن كثير (10/ 278): أبو سليمان الداراني عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَطِيَّةَ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَطِيَّةَ، وَقِيلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عسكر أبو سليمان الداراني، أحد أئمة العلماء العاملين، أصله من واسط سكن قَرْيَةً غَرْبِيَّ دِمَشْقَ يُقَالُ لَهَا دَارَيَّا. وَقَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ وَجَمَاعَةٌ... قد اختلف النَّاس في وفاته على أقوال فقيل: مات سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ وَمِائَتَيْنِ... باختصار. انظر أيضا كتاب طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات (ص: 74).

[4] قات الشَّخصَ: أطْعَمَهُ قُوتًا يَسُدُّ الرَّمَقَ. قات أسرةً كبيرةً: عالهم وقدَّم لهم القوتَ، معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 1867).

سَبِيل الله، فَقَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم «لَا تَقولُوا هَذَا، فَإِنَّهُ إِن كَانَ يسْعَى عَلَى نَفسه ليكفها عَن الْمَسْأَلَة ويغنيها عَن النَّاس فَهُوَ فِي سَبِيل الله! وَإِن كَانَ يسْعَى عَلَى أبوين ضعيفين أَو ذُرِّيَّة ضِعَاف لِيُغنيَهُمْ ويكفيهم فَهُوَ فِي سَبِيل الله، وَإِن كَانَ يسْعَى تفاخرا وتكاثرا فَهُوَ فِي سَبِيل الشَّيْطَان»"[1] أو كما قال: ادعوا الله يستجب لكم.

الرياء يحبط العبادة ويفسد العمل

العناصر: تفشي الرياء، ضرره ، مظاهره، مخالفته للعقل، إحباط العبادة، نهايته في الآخرة.

أيها المسلمون :

إن الرياء في الأعمال والعبادات، والكذب في المعاملات والطاعات، قد فشا بين الناس[2] وتمكن فيهم حتى تعودوه وألفوه، وسكتوا عنه فلم يحاربوه، حتى تغلغل النفاق في كل عمل، وامتزج الرياء بكل فعل، فالصداقة تشوبها اليوم رياء وكذب، والعبادة والطاعة ليست خالصة للمعبود، بل لها من التظاهر نصيب كبير. ولذلك ضاعت الأمانة بيننا وماتت الثقة فينا، وأصبح الأخ يشك في أخيه، والصديق لا يأتمن صديقه، ولو عرفت القلوب الإسلام لأسلمت قيادها لخالقها، ولو تذوقنا الإيمان، لعرفنا لذة الصراحة وقوة الحق ، ونور الإخلاص وفائدة الصدق.

عن رافع بن خديج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ."قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: "الرياء، يقال لمن

---

[1] قال الحافظ العراقي/ أخرجه الطَّبَرَانِيّ فِي معاجمه الثَّلَاثَة من حَدِيث كَعْب بن عجْرَة بِسَنَد ضَعِيف .

[2] وجدنا نص الخطبة في موقع البيان الإماراتية:
(http://www.albayan.ae/supplements/ramadan/nafahat/2011-08-28-1.1494218)، لم نعثر على مصدر الخطبة.

يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون فاطلبوا ذلك عندهم"[1].

كيف يستقيم الدين في جو سُمم بالرياء، وهل أضر على الدين من عابد يرائي بعبادته، وصالح يتجر بصلاحه، وينافق في طاعته؟ إن من أشد الخطر على الدين وأهله، العالم المداهن في مظهره، فاسد اليقين في باطنه، فالمخلص ليس له باطن يخفيه وظاهر يبديه، ولكن ظاهره وباطنه سواء. وفي الأثر: "إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الإِشْرَاكُ بِاللهِ. أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدَونَ شَمْساً وَلاَ قَمَراً وَلاَ وَثَناً. وَلكِنْ أَعْمَالا لِغَيْرِ اللهِ، وَشَهْوَةً خَفِيّةً"[2].

وفي الحديث الشريف "إِنَّ أَدْنَى الرياءِ شِرْكٌ، وأَحَبَّ العَبِيدِ إلى اللهِ تعالى الأتقياءُ الأخفياءُ، الذين إذا غابوا لم يُفْتَقَدُوا، وإذا شَهِدُوا لم يُعْرَفُوا، أولئك أئمةُ الهُدَى ومصابيحُ العلمِ" (رواه الحاكم[3]). يعني [أن الأتقياء هم] المبالغون في إسرار العبادات وإخفائها عن الناس وتخليصها من شوائب الرياء. كيف تستقيم الآخرة للمرائي، وهو إن صلى لا تخشع له جارحة، وإن صام لا تطهر نفسه من ذنوبها، وإن عمل لن يقبل عمله، وإنما يتقبل الله من المتقين".

المرائي ضيع آخرته وأحبط عمله، وأضاع جزاءه، وأوجب على نفسه النار بنفاقه، يتصدق ويمن على الفقراء، يعطي رياء ولا يرجع عن الإيذاء، والله يقول {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ

---

[1] ورد في موقع الدرر: الراوي : عبدالله بن عمر و معاذ بن جبل ، المحدث : الألباني ، المصدر : ضعيف الجامع الصفحة أو الرقم 1379 :، خلاصة حكم المحدث : ضعيف جداً.

[2] سنن ابن ماجه تحقيق الأرنؤوط (5/ 292).

[3] ورد في موقع الدرر: الراوي: عبدالله بن عمر و معاذ بن جبل ، المحدث : الألباني ، المصدر : ضعيف الجامع الصفحة أو الرقم 1379 :، خلاصة حكم المحدث : ضعيف جداً.
http://www.dorar.net/h/537d01ede1b381503a94bfaa775d16a8

وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (سورة البقرة: 264)[1].

كيف ترائي بعبادتك الناس تطلب منهم المدح والثناء، وترجو عندهم الجاه والمنزلة، ولا تطلب ثناء ربك بإخلاصك له والمنزلة عند مولاك بالخشية منه؟ كيف ترائي الناس بعملك وهم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرا ولا حياة ولا موتا ولا رزقا، وتشرك برياءك مع الخالق الحكيم، أتطلب منزلة فانية عند الناس بالرياء، وتبيع منزلة باقية عند الله؟

مهما راءيت ونافقت، فلن تبلغ رضى الناس، بعد أن تحرم رضى الله، وكيف تنظر ثوابا وأنت أشركت مع الله عملا دنيوياً، وفرضا حتميا، والله لا يحب أن يشرك به. عَنْ طَاوُسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[2].

ورأى عمر رجلاً يسير مطأطئ[3] الرقبة فقال: "يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب". وورد في الأثر "إن المرائي ينادي يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له".

---

[1] قال المفسرون "يا من آمنتم بالله واليوم الآخر لا تُذْهِبُوا ثواب ما تتصدقون به بالمنّ والأذى، فهذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثل ذلك مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه. والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها."

[2] سورة الكهف: 110، «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 122).

[3] طأطأ رأسَه: خضَع وأذعن. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1381).

الزنا

العناصر: غواية النفس، العزوبة شر لا خير فيها، عقاب الزاني في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون : أطاع [الزاني] نداء فرجه فوضعه في الحرام، استجاب لدعوة شيطان فتمرغ في الآثام، زنا بالمرأة وجامعها بغير حق [إتيان الرَّجل المرأة من غير عقد شرعيّ]، واستباحها وقد حرمها الله عليه، وتمتع بها بدون زواج، واشترى عرضها بقليل من المال وكثير من القول المعسول، والخداع والضلال، وفر من ميدان الشرف إلى بؤر الفساد والتلف، وكلما تحركت شهوته أوقع امرأة ليقضي غايته، فهو تيس لكل ساقطة، وكلب بين المتسكعة المتخبطة، يلغ في كل إناء ولو كان مصدر المرض والوباء، ويظن أنه بذلك سعيد، ويفتخر بالعزوبة ويهرب من الزواج، يعد الزواج قيوداً وأحمالا، ويحسب الزنا لذة متجددة، وحرية وتخلصا من القيود. وإن كان في الزواج قيد فهو تقيداً بالواجب وإن كان عبئا وحملا، فهو عبء الرجولة، وحمل الأبطال، الذين يقدرون ما عليهم فيؤدونه بلذة العامل ونشاط المجد.

هل يظن الزاني أنه غير مقيد وأنه حر طليق، وهو عبد لكل ساقطة، وتابع لكل خليعة، عرضة للأمراض السارية والعلل التي تنغص عيشه، من سيلان وزهري، وقروح آكلة وغير ذلك، ثم بعد ذلك ضياع المال وفقدان الكرامة وانهيار الأخلاق، وذهاب الحياء.

لقد حرمت كل الشرائع الزنا لعظم ضرره، وشدة خطره، وحتى لا تختلط الأنساب، وتضيع الأولاد[1]، وترمى اللقطاء في الشوارع والطرقات، كما هو حاصل الآن مما خجل منه الحياء وتندى له جبين الإنسانية، والله تعالى يقول "وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً

[1] قال عبدالوهاب خلاف في كتابه: أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية (ص: 54) والحكمة في إباحة تعدد الزوجات أمور: منها أن الرجل قد لا تحصن نفسه واحدة فصونا له من الزنا واتخاذ الخليلات أباح الله له التزوج بأكثر من واحدة، ولم يبح للمرأة أكثر من زوج لئلا تضيع الأولاد باختلاط الأنساب.

وَسَاء سَبِيلاً" (سورة الإسراء: 32). عن أَبي مَسْعودٍ قالَ: قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى: إِذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ[1]".

الزنا في نظر الإسلام جريمة كبيرة فاحشة، جعل لها حدا في الدنيا زجرا وتأنيبا ولها عقاب في الآخرة. جعل الرجم للمتزوج إذا زنى، والجلد للأعزب، ونهى عن استعمال الرأفة مع الزناة، وقد أمر بالرأفة حتى مع الحيوان، ولكن الزاني تسفل عن الحيوان فلم يتخذ له زوجة يرعاها ومن الحيوانات ما يرعى أليفته ويصون عرضها وجبلتها، ولا يخونها مع غيرها.

الدين الذي يحب الستر على عورات المسلمين، يوجب الحد على الزناة مع جمع حاشد. قال تعالى {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (سورة النور: 2). زنى الرجل المتزوج فعلمت زوجته فاتبعت طريقته، وباعت عرضها تسفلا منها[2] ، أو انتقاما من زوجها، والرجل هو الذي رسم لها طريق السقوط، وفتح أمامها باب الإثم:

وإذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

والمرأة على دين زوجها وطريقة بعلها و "من زنى يزنى بأهله"، وأخيراً تحل بنا نقمة الله تعالى بسبب الفسق والفجور. قال تعالى {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} (سورة الإسراء: 16). وفي الحديث

---

[1] مختصر صحيح الإمام البخاري (4/ 86)، ورد في فيض القدير للمناوي: الحياء مأمور به في جميع الشرائع (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) فإنك مجزي به فهو أمر تهديد لتاركه نحو {اعملوا ما شئتم} أو أراد الخبر يعني عدم الحياء، يورث الاستهتار والانهماك في هتك الأستار أو المراد ما لا تستحي من الله في فعله فافعله ... قال الزمخشري: فيه إشعار بأن الذي يكف الإنسان ويردعه عن مواقعة السوء هو الحياء فإذا رفضه وخلع ربقته فهو كالمأمور بارتكاب كل ضلالة وتعاطي كل سيئة.

[2] فيه اقتباس من كتاب موارد الظمآن لدروس الزمان.

النبوي الشريف "عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ" (رواه البخاري).

وقال أيضاً "عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا[1] وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (رواه البخاري).

[1] "الانتهاب الذي أجمع العلماء على تحريمه هو ما كانت العرب عليه من الغارات وانطلاق الأيدي على أموال الناس بالباطل، فهذه النهبة لا ينتهبها مؤمن، كما لا يسرق ولا يزني مؤمن، يعنى مستكمل الإيمان" شرح صحيح البخاري لابن بطال (6/ 603).

طاعة الأم

العناصر : رضا الله في رضا الوالدين، سعادة الوالدين في طاعتهما، الأم مجابة الدعاء عند الله، قصة جريج الراهب.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8) " (سورة العنكبوت). وقال سبحانه "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)" (سورة لقمان). [وقال الإمام أحمد- رحمه الله-: «برّ الوالدين كفّارة الكبائر»[1]].

هما أصحاب الفضل عليك، وسبب وجودك في الدنيا، رضا الرب عليك في إرضائهما وسخطه في سخطهم [رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْن، وَسُخْطُهُ فِي سُخْطِهِمَا][2]"، وقد خص الله الأم بمزيد البر والعناية والرعاية، لأنها لاقت الهوان في الحمل والوضع والتربية فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وجعل دعاءها مجاب عند الله تعالى. [عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ"[3]].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ:

---

[1] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون (3/ 779). دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

[2] ورد في سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر (4/ 310) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». وفي صحيح ابن حبان (2/ 168) "الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَحَافِظْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعْ".

[3] مسند أحمد طبعة الرسالة (16/ 153).

يَارَبِّ! أُمِّي وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ!، فَقَالَ: أيْ رَبِّ! أمِّي وَصَلَاتِي؟، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ؟ يا جُرَيْجُ! فَقَالَ: أيْ رَبِّ! أمِّي وَصَلَاتِي؟ فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوْهِ المُوْمِسَاتِ[1].

فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجَاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا[2]، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ! فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِن نَّفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ. فَلَمَّا وَلَدَتْ قالتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوْهُ وَهَدمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعلُوا يَضْرِبُوْنَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟، قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟! فَجَاؤُوا بِهِ فَقَالَ: دَعُوْنِي حَتَّى أُصَلِّي، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ! مَنْ أبُوْكَ؟! قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي!!،

فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُوْنَهُ، وَيَتَمَسَّحُوْنَ بِهِ، وَقَالوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيْدُوْهَا مِنْ طِيْنٍ كَمَا كَانَتْ فَفَعَلُوا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

[1] مُومِس [مفرد]: ج مُومِسَات ومَوامِس ومَوامِيسُ ومَيَامس: امرأة فاجرة تلين لمنْ يريدُها، مجاهرة بالفجور، زانية. من شدة غضب الأم دعت على ولدها لأنه لا يلبي طلبها... دعت أم جريج على ولدها أن لا يموت حتى ينظر في وجوه المومسات، "ويستفاد من هذه الجملة من هذا الحديث أن الوالدين إذا ناداك وأنت تصلي، فإن الواجب إجابتهما، لكن بشرط ألا تكون الصلاة فريضة" شرح رياض الصالحين (3/ 73) تأليف محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

[2] أي يُضرب المثل بها في الحسن والجمال، لانفرادها بذلك، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (9/ 621)، تأليف موسى شاهين لاشين. "وَفِيه: أَن دُعَاء الْأُم أَو الْأَب على وَلَده، إِذا كَانَ بنية خَالِصَة، قد يُجَاب، وَإِن كَانَ فِي حَال الضجر" عمدة القاري شرح صحيح البخاري (13/ 39) لمؤلفه بدر الدين العيني.

الحرية ثمرة الكفاح

العناصر: **ذكرى الاعتداء على بورسعيد**، الحرية ثمرة الكفاح، الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وهو بالنفس والمال واللسان.

في مثل هذا اليوم من أربع سنوات مضت طهر الله بلادنا من رجس المعتدين وإفساد الظالمين، فقد تجمع الإنجليز والفرنسيون وإسرائيل على مصر فلذة كبد الإسلام وشنوا عليها الغارات في الأرض والماء والسماء وأصابوا بورسعيد[1] فصبوا عليها النيران ولكن أهل مصر البواسل لم يرضوا بالدنية في دينهم ولا بالذلة في بلادهم، وأجابوا نداء الله الخالد {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (سورة آل عمران: 200). ولم يهابوا الموت حتى أذاقوا عدو الله وعدوهم طعم المنون، وافتدوا بذلك بلادهم ودينهم والنور الذي أراد الأعداء أن يطفئوه {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (سورة التوبة: 32).

وإذا كنا نتخذ هذا اليوم عيد النصر فإنه يذكرنا بأن الحرية والعزة والكرامة من ثمار الكفاح والنضال، وهذا هو ديننا يعلمنا أن الله تعالى لا يؤتي نصره بمجرد أن نقول ربنا الله أو لمجرد انتسابنا إلى الإيمان والقرآن وإنما يؤتيه للمؤمنين المجاهدين المخلصين. قال تعالى {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (سورة الحج: 40).

إن الجهاد فريضة محكمة، ومفتاح النصر القريب وهو ماض إلى يوم القيامة، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (سورة

---

[1] ورد في الموسوعة العربية العالمية "وفي أكتوبر عام 1956م، 1375هـ، أغارت القوات الإسرائيلية على مصر فاحتلت شبه جزيرة سيناء. وكانت بريطانيا وفرنسا تسعيان إلى إعادة سيطرتهما على قناة السويس، لذلك اشتركت قواتهما في الإغارة على مصر واحتلال بورسعيد. وكان الدافع الأساسي لفرنسا للمشاركة في هذا العدوان هو الانتقام من دعم مصر المستمر لثورة الوطنيين في الجزائر ضد النفوذ الفرنسي. أدانت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي العدوان الثلاثي على مصر، وقامتا بالضغط على الدول المعتدية حتى تم سحب قواتها، وعوضت مصر جملة أسهم شركة قناة السويس بعد تأميمها، وتم وضع قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام على طول الحدود المصرية الإسرائيلية." "كشفت هذه الحرب الدور التوسعي لدولة الكيان الصهيوني وطموحاتها في ضم أراضٍ عربية جديدة خارج الأراضي الفلسطينية المحتلة وخارج فلسطين ذاتها." رجاء الناصر، العدوان الثلاثي على مصر، الموسوعة العربية، ج13، ص 45).

الصف: 10). وقد علمنا ديننا أن الجهاد يكون بالنفس والانضمام إلى صفوف المقاتلين ويكون بالمال ببذله وإنفاقه في كل ما يرفع من شأن البلاد ويعزها ويقويها، ويكون باللسان بدفع أكاذيب الأعداء وافترائهم والإشاعات التي ينشرونها، ويكون بالقلم والكتابة ليحق الله الحق ويبطل الباطل.

يا عباد الله: إن لم يكون العدو يحاربنا في ميدان القتال فهو يحاربنا في ميادين أخرى وإنا بفضل الله وتعاوننا لمنتصرون. إنه يحاربنا في ميدان الفرقة والانقسام، وفي ميدان الإشاعات والافتراءات وفي ميدان الإغراء والانضمام إلى جبهته وموالاته، ويحاربنا في حيادنا الإيجابي ويحارب قوميتنا العربية، فيجب علينا ونحن العرب الأشداء أن نرد سهمه في نحره وضربته في قلبه، فلا تصدق إشاعة تُنشر، ولا باطلا يذاع، والله تعالى يقول {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (سورة النور: 19). {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (سورة الحجرات: 6).

وهل يليق بنا أن نستجيب لداعي الفرقة والتنازع والله يعلمنا أن ذلك سبيل الضعف والخسران؛ قال تعالى "وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (سورة آل عمران:103). ويقول {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال: 46).

وهل يليق بعربي مسلم أن يوالي الأعداء أو يقع تحت طائلة الإغراء فيزين للناس أعمال المجرمين، والله يحكم بأن من فعل ذلك فليس من المؤمنين. قال تعالىَ "لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة المجادلة: 22).

ألا وأن الطريق الذي تسير عليه جمهوريتنا العربية هو طريق الحياد الإيجابي[1] بمعنى أننا نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا لا ننحاز إلى شرق أو غرب إنما ننحاز إلى عروبتنا وقوميتنا[2] وننشد مصلحة بلادنا، والعزة للشعب العربي.

هذا سبيل الله فَاسْلُكُوهُ وطريق النبي فاتبعوه، وهدى القرآن فاهتدوا بهديه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[3] وقيل وما الجهاد الأكبر يا رسول الله قال: مجاهدة المرء نفسه وهواها" أو كما قال ...

---

[1] قال الزعيم الراحل عبد الناصر "آثرنا سياسة الحياد الايجابي وسياسة عدم الانحياز، وأعلنا أننا ننحاز إلى جانب السلام وإلى جانب الحق، وأننا ضد الحرب... وأعلنت سياستنا من أجل إقامة سلام عالمي، ثم أعلنت رأينا في حدة التوتر العالمي وحدة التوتر الدولي" (باختصار).

[2] القومية، لغة: صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة، كالقومية العربية. واصطلاحا: لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فقد قيل هي فكرة سياسية اجتماعية بالمعنى الواسع، ترمى بالدرجة الأولى إلى توحيد كل جماعة متجانسة من البشر، وخضوعها لنظام سياسي واحد. والقومية شعور أفراد الشعب بانتمائهم لأمة واحدة، وهو شعور ينبع من الإحساس بالولاء، والاعتزاز بالثقافة والتاريخ القومي، ويمثل ذلك في الحياة السياسية اقتناع الحكومات بأنها يجب أن تقام على أساس مجموعة من الأفراد يطلق عليهم الشعب، وينادى المؤمنون بالقوميات بأن يكون لكل قومية وطن مستقل بها، كما يكافح زعماء القوميات من أجل أن يكون لشعبهم الحق في الاستقلال وتقرير المصير. انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر (ص: 539، بترقيم الشاملة آليا).

[3] ورد في كشف الخفاء للعجلوني: "هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة، انتهى، وأقول الحديث في الإحياء قال العراقي رواه بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر". قال يوسف القرضاوي "وأما المعنى المقبول من الحديث، فهو العناية بجهاد النفس، ورياضتها، والعمل على إلجامها بلجام التقوى، ومقاومة أهوائها وشهواتها، حتى تنتقل من حالة (النفس الأمارة بالسوء) إلى حالة (النفس اللوامة) ثم ترتقي حتى تصل إلى (النفس المطمئنة). وهذا يحتاج إلى جهاد طويل النفس، بعيد الأغوار، كثير المشقات، ولكنه مبارك الثمرات، موفور الخيرات، ولا ريب أن نهاية هذا الطريق الشاق المضني هي الهداية إلى سبيل الله تعالى". ونقرأ في كتاب التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية وهو من تأليف محمد منير مرسي (ص: 63) "والتربية الإسلامية تربية نفسية لأنها تخاطب عاطفة الإنسان ووجدانه وقلبه وضميره وتحتكم إليها ... أمرنا ديننا بأن نربي نفوسنا على الفضيلة والخير وحب الناس والتجرد من الأنانية وحب الذات، وجعل أساس الحساب على الأعمال ما استقر في النفس لا بما ظهر من السلوك. وأمرنا ديننا بالتعفف وعزة النفس ورياضتها

شريعة الإسلام والأخلاق

العناصر: الغاية من بعثة الرسول، تلاقي الصلاة والصيام والحج والزكاة مع تلك الغاية، الجزاء في الآخرة.

يا أيها المسلمون : لكل شيء في الحياة غاية ، وهدف يسعى للوصول إليه، إن الإنسان ليأكل الطعام والغاية والهدف من تلك التغذية، حفظ حيوية الجسم ودفئه وحرارته ووقايته من الأمراض، وإن الفلاح يزرع الشجرة ليحصل منها على الثمرة. وهكذا إذا تتبعت كل شيء في الوجود، نراه يسعى لغرض معين، لذا فإن بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم لها غاية وغرض مقصود، تلك الغاية هي ما أشار إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم وحديثه حيث يقول "بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ"[1] [وفي رواية "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ". وقد ورد عن النبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– أنه قال: (إنَّ أحَبَّكم إليَّ وأقرَبَكم منّي في الآخرةِ أحاسِنُكم أخلاقًا وإنَّ أبغَضَكم إليَّ وأبعَدَكم منّي في الآخرةِ أسوَؤُكم أخلاقًا المتشدِّقونَ المتفيهقونَ الثَّرثارونَ". وفي فيض القدير للمناوي " (إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً) أي أكثركم حسن خلق وهو اختيار الفضائل وترك الرذائل وذلك لأن حسن الخلق يحمل على التنزه عن الذنوب والعيوب والتحلي بمكارم الأخلاق من الصدق في المقال والتلطف في الأحوال والأفعال وحسن المعاملة مع الرحمن والعشرة مع الإخوان وطلاقة الوجه وصلة الرحم والسخاء والشجاعة وغير ذلك من الكمالات. ومفهوم الحديث أن من أبغضهم إليه أسوأهم أخلاقاً وبنحوه

وتدريبها والتحكم فيها ... إن التربية الإسلامية تربية تحررية لأنها تحرر العقل من التعصب الأعمى والتزمت أو الانغلاق وضيق الأفق والإيمان بالأوهام والأساطير. كما أنها تحرر النفس من الخوف والعبودية والضعف. فالمسلم القوي خير من المسلم الضعيف. وتحررها أيضا من الخبث والدنس واللؤم وكل ما يشينها، وهي أيضا تحرر الجسم من كل ما يدنسه ويعيبه وتقيمه على الطهارة والنظافة والعناية والاهتمام به كما تحرره من الخضوع للذات والشهوات".

[1] قال الحافظ العراقي: رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة.

صرح في رواية الترمذي بزيادة ولفظه عن جابر إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال المتكبرون."] .

فبعث الله محمدا عليه السلام ليأخذ بيد البشرية إلى الأخلاق العالية، ويغرس في قلوبها النبل وسمو النفس، ويعلمها الفضيلة ويجنبها الرذيلة.

والناظر فيما جاءت به الشريعة الإسلامية من صلاة وصيام وزكاة وحج وهي أركان الإسلام ودعائمه التي تقوم عليه، يرى أن الغرض منها تعويد الإنسان وتمرينه على مكارم الأخلاق، فإن لم يكن الإنسان على جانب كبير من الأخلاق العالية، فلا صلاة له ولا صيام ولا زكاة ولا حج، فالصلاة يقول فيها المولى جل وعلا "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)" (سورة هود). وقال "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)[1]" (سورة العنكبوت).

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»"[2]. وفي الحديث القدسي[3] فيما

---

[1] ورد في كتاب التفسير الميسر (1/ 401):

"اتل ما أُنزل إليك من هذا القرآن، واعمل به، وأدِّ الصلاة بحدودها، إن المحافظة على الصلاة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ وذلك لأن المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها، يستنير قلبه، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، ولَذكر الله في الصلاة وغيرها أعظم وأكبر وأفضل من كل شيء. والله يعلم ما تصنعون مِن خيرٍ وشر، فيجازيكم على ذلك أكمل الجزاء وأوفاه".

[2] رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَهُوَ ثِقَةٌ وَلَكِنَّهُ مُدَلِّس؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (2/ 258).

[3] الحديث القدسي: لغة .. القدسي مأخوذ من قدُس بمعنى طهُر، والتقديس: التطهير والتبريك، والقُدْس: البركة، ومنه روح القدس: وهو جبريل عليه السلام. واصطلاحا .. كلام مضاف إلى الله تعالى منقول إلينا آحادا عنه (صلى الله عليه وسلم) وهو وحي غير متلو، وإضافته إلى الله تعالى وهو الأغلب، ونسبته إليه سبحانه وتعالى نسبة إنشاء" لأنه المتكلم به أولا. وقد يضاف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) باعتبار أنه المخبر به عن الله عز وجل .. ويسمى هذا النوع من الحديث: الحديث القدسي .. أو الإلهي .. أو الرباني. والأحاديث القدسية لا تنحصر في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن

يرويه الرسول عن ربه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «قَالَ اللَّهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –: إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ وَرَحِمَ الْمُصَابَ، ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ أَكَلَؤُهُ بِعِزَّتِي وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلَائِكَتِي أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ"[1].

والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرأفة[2] في قلوب الأغنياء، قال تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (سورة التوبة: 103).

والصوم ليس الغرض منه الحرمان من الطعام والشراب فقط، بل يضاف إليه ذلك حرمان النفس من الشهوات ولغو الكلام. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ بِأَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَلَا شَرَابَهُ[3]".

والقرآن الكريم يذكر الغرض من الصيام وهو أن يتقى العبد ربه. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}

تنزل برؤيا النوم. أو الإلقاء في الروع، أو على لسان الملك .. انظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر (ص: 218، بترقيم الشاملة آليا).

[1] رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَاقِدٍ الْحَرَّانِيُّ ضَعَّفَهُ النَّسَائِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ الْجُوزَجَانِيُّ وَابْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةٍ، وَوَثَّقَهُ أَحْمَدُ وَقَالَ: كَانَ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ وَأَنْكَرَ عَلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (2/ 147). انظر أيضا الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوي ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير بن عبده (ص: 47). المحقق: عبد القادر الأرناؤوط – طالب عواد، الناشر: دار ابن كثير دمشق- بيروت؛ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لمؤلفه بنا الساعاتي (3/ 164).

[2] وردت هذه العبارة في كتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي.

[3] مسند أحمد طبعة الرسالة (16/ 332)، انظر صحيح البخاري (3/ 26). قال مصطفى البغا: (الزور) الكذب والميل عن الحق والعمل بالباطل والتهمة. (العمل به) العمل بمقتضاه مما نهى الله عنه. (فليس لله حاجة) أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله.

(سورة البقرة: 183). والغرض من الحج هو المغفرة من الله تعالى للعبد ولكي يحصل البعد على تلك المغفرة، يجب أن يكون على جانب كبير من الأخلاق في أشهر الحج. قال تعالى "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ" (سورة البقرة: 197).

فإذا ما عود المرء نفسه في أشهر الحج على الأخلاق الفاضلة، يكون قد نال مغفرة الله وجاهد نفسه الأمارة بالسوء في أشهر الحج على الأخلاق الفاضلة، يكون قد نال مغفرة الله وجاهد نفسه الأمارة بالسوء على حسن المعاملة، وليس من العقل أن يعود الإنسان بعد أشهر الحج إلى سوء الخلق بعدما ذاق حلاوة سمو النفس ونبل الخلق.

وعلى ذلك نرى أن أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج، الغرض منها يلتقي مع الغرض من بعثة الرسول التي قال فيها إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. فإذا لم يستفد الإنسان من أركان الإسلام حسن الخلق فما له إلا جهنم والعياذ بالله تعالى. قال تعالى "إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)" (سورة طه).

عباد الله ادعوا الله يستجب لكم.

[وعندما انحرف الإنسان وحاد عن الفطرة وعن الأخلاق الفطرية التي هي الأخلاق الإسلامية، نزل الوحي بأخلاق السماء ليقوّم ما اعوج من أخلاق الناس وليردهم إلى أخلاق الفطرة مرة أخرى، وهي الأخلاق الأصيلة، أخلاق الإنسان السويّ، لأن الذي يعتدي ويضرب ويقتل ويزني ويسرق قد تعدّى على حقّ غيره في أن يحيا حياة آمنة دون اعتداء وقتل وسرقة وخيانة وخديعة، ولذلك فهو غير سوي، لأن السوي هو الذي يحفظ نفسه ويحفظ غيره وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة الطبيعية في كل المجتمعات البشرية أي حفظ النفس وحفظ الغير من كل ما يُسيء إلى الإنسان بوصفه

إنسانًا، وهذا هو عينه مقصد الشريعة الإسلامية، إذ إن مقاصد الشريعة الإسلامية ثلاثة وهي تحقيق الضروريات والحاجيات والتحسينات أي الكماليات للإنسان في هذه الحياة.

الضروريات: هي الأمور التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث لو فُقدت لم تستقم مصالح الدين والدنيا، والضروريات خمسة، وهي حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل.

أما الحاجيات: فهي الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في هذه الحياة لرفع الضيق والحرج والمشقة التي تكون نتيجة عدم تحقيق بعض المطالب كتحقيق حاجيات الإنسان كلها بشيء من السعة والرفاهية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن وإزالة ما يؤدي إلى الضيق والحرج في بعض الظروف كالتخفيف عن الإنسان في بعض التكاليف بالرُّخَص وذلك في حالات الاضطرار.

التحسينات: هي اتباع أجمل وأحسن الأساليب في حياة الناس. وبعبارة أخرى هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات. وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي لتحقيق غاية أخلاقية، وهو الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو صورة مجسمة لهذه الروح الأخلاقية. ومهمة الدين على هذا هي تنظيم الحياة الإنسانية، ووضع الضوابط الإلهية التي تحفظ للإنسان ضرورياته وتساعده على تحقيق حاجياته وكمالياته. وخالق الإنسان هو في هذا وغيره أدرى من الإنسان ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (سورة الملك: 14).

وإذا كانت الأخلاق هي جسد الفضائل فإن الدين هو الروح الذي يحرك هذه الفضائل ويزكيها وينميها ويزيده][1].

[1] الموسوعة العربية العالمية. ط2، الأخلاق.

[والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب، بل هي أولا غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات. فتنظيف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى[1]].

[1] كتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي، باختصار.

حادث الإسراء

العناصر: شق صدره الشريف، البراق ووصفه، ذكر طرف من الأماكن التي زارها، ثم بعض مشاهداته.

أيها المسلمون: في مثل هذا الشهر، شهر رجب، منذ أربعة عشر قرنا مضت، حدث للمصطفى صلى الله عليه وسلم معجزة كبرى، تكريما له، وتشريفا من الله تعالى له، ألا وهو حادث الإسراء والمعراج، وقد تم حادث الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، قبل هجرته إلى المدينة بسنة واحدة، ولا يتسع المنبر لذكر الحادثتين، لذا فإنا نذكركم بحادث الإسراء اليوم، وفي الجمعة القادمة إن شاء الله نذكركم بحادث المعراج، قال تعالى "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)" (سورة الإسراء).

"بينما الرسول صلى الله عليه وسلم في الحجر عند البيت مضطجعا، بين عمه الحمزة وابن عمه جعفر بن أبي طالب، إذا أتاه جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاحتملوه بالهيبة والوقار[1]، حتى جاءوا به إلى بئر زمزم، فاستلقوه على ظهره، وشق جبريل صدره الشريف، من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم قال جبريل لميكائيل، ائتني بطست[2] من ماء زمزم، كيما أطهر قلبه، وأشرح صدره، فاستخرج قلبه، فغسله ثلاث مرات، ونزع ما كان فيه من أذى، وتردد إليه ميكائيل بثلاث طِسَاتٍ من ماء زمزم ، ثم أتى بطست من ذهب ، ممتلئ حكمة، وإيماناً فأفرغه في صدره الشريف، وملأه حلماً وعلماً ويقينا، ثم أطبقه من غير حدوث ألم ولا نزف دم، ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتى بالبراق مسرجاً ملجما وهو دابة أبيض طويل، أتى به من الجنة وجسمه أكبر من جسم الحمار،

---

[1] لم نعثر على سند الرواية بهذا اللفظ والترتيب في الأحداث.

[2] طَسْت [مفرد]: جمعها طُسوت: طَشْت، إناء كبير مستدير من نُحاس أو نحوه يُستعمل للغسيل (يُذكَّر ويُؤنَّث) "غسل الضيف يده في الطَّست بعد الأكل- طَسْت نُحاس". معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1399).

وأقل من جسم البغل، يضع حافره، عند منتهى نظره، مضطرب الأذنين، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، له جناحان في فخديه، يقوى بهما رجليه في سرعة السير، {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل: 88). {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ} (السجدة: 7).

وعندما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ركوبه، نفر، فوضع جبريل يده على مَعْرِفَتِهِ[1]، ثم قال: ألا تستحي يا براق، فوالله ما ركبك خلق أكرم على الله منه، فاستحيا حتى أرفض عرقاً[2]، وثبت حتى ركب الرسول صلى الله عليه وسلم، فانطلق به، وكان الآخر بركابه جبريل، وبزمام البراق ميكائيل، فساروا حتى وصلوا إلى المدينة المنورة، ثم قال له جبريل انزل فصل، وبعد انتهاء الصلاة أخبره بأنه صلى بالمدينة المنورة وأنه سيهاجر إليها إن شاء الله تعالى.

وفي أثناء الطريق، مر على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان، فقال يا جبريل، ما هذا، فقال: هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه[3].

ووجد ريحاً طيبة، فقال: يا جبريل، ما هذه الرائحة، قال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، بينما هي تمشط بنت فرعون، إذا سقط المشط، فقالت: باسم الله تعس فرعون. فقالت ابنة فرعون: أو لك رب غير أبي؟ فقالت: نعم، قالت أنا أخبر بذلك أبي! قالت: نعم، فأخبرته فدعاها، فقال: أو لك رب غيري؟ قالت نعم، ربي وربك الله، فأخذت فرعون العزة بالإثم، فأمر بقدر كبير من نحاس فأحميت، فألقى فيها

---

[1] قال أهل اللغة: موضَع العُرْف من الطير والخيل، جمعه مَعَارف، والعُرْف: الشعر النابت في مُحَدَّب رَقَبَةِ الدابَّة.

[2] "أي جَرَى عَرَقُه وسَال، ثم سَكَن وانقادَ وتَرَك الاسْتِصْعاب."

[3] انظر: مسند البزار = البحر الزخار (17/ 5).

زوجها وأولادها، حتى يلقوا أصغر رضيع فيهم، فنطق الرضيع وقال: يا أمه قفي ولا تقاعسي فإنك على الحق، فألقيت هي وأولادها[1].

ومن مشاهداته صلى الله عليه وسلم في الطريق، رأى قوماً يأكلون النار، فتحرق صدورهم وتمزق أحشاءهم، فسأل عنهم جبريل: فقال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً: إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً " ثم أتى على قوم تكسر رءوسهم، كلما كسرت عادت كما كانت، ثم تكسر من غير أن يفتر عنهم، فقال من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم الجياع، يأكلون الضريع والزقوم وحجارة جهنم، فقال من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله شيئاً، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم طيب وآخر خبيث، فيتركون الطيب ويأكلون الخبيث، فقال من هؤلاء يا جبريل، قال : هؤلاء هم الزناة من أمتك".

---

[1] ورد في موقع الإسلام سؤال وجواب " وردت قصة ماشطة ابنة فرعون كما يلي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا ، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، قَالَ : قُلْتُ : وَمَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ : بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى [المشط] مِنْ يَدَيْهَا ، فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ : أَبِي ؟ قَالَتْ: لا ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ ، قَالَتْ : أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ ! قَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْبَرَتْهُ ، فَدَعَاهَا فَقَالَ : يَا فُلانَةُ ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ : أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ : ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاقْتَحَمَتْ). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: تَكَلَّمَ أَرْبَعَةُ صِغَارٍ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ. أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (309/1) ، والطبراني (12280) ، وابن حبان (2903) ، والحاكم (2/496) . قال الذهبي في " العلو " (84) عن: " هذا حديث حسن الإسناد "، وقال ابن كثير في " التفسير" (15/3) : "إسناده لا بأس به" ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (295/4) ، وقال الأرنؤوط في تخريج المسند (30/5 – 31 رقم 2821): "إسناده حسن ، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة".

ورأى رجلاً يسبح في نهر من دم يلقم الحارة في فمه فقال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا مثل آكل الربا، وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاهم بمقارض من حديد كلما عرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون.

ورأى قوما لهم أظفار من نحاس يخدشون بها وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل؟ فقال هؤلاء هم المغتابون من أمتك.

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ما رأى من آيات الله الكبرى، حتى وصل إلى بيت المقدس، وحشر الله له جميع النبيين والرسل قبله، وأخذ جبريل بيد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فصلى بهم إماماً بالمسجد الأقصى، فنال بإمامتهم الشرف الأعظم والتفضيل عليهم، وبعد انتهاء الصلاة أصاب النبي صلى الله عليه وسلم عطش شديد "فعرض جبريل عليه ثلاث أوان إناء به لبن والثاني به خمر والثالث به دماء "فاختار المصطفى صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه. فقال له جبريل اخترت الفطرة يعني الإسلام.

قال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سورة الروم: 30).

عباد الله ادعو الله يستجب لكم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

حادث المعراج

العناصر: وصف المعراج، دخوله السماوات السبع وترحيب من فيها به، رؤية الله تعالى، فرض الصلوات الخمس، مروره على القوافل الثلاث لقريش، عودته إلى بيته، في الصباح أخبر أم هانئ[1] بمسراه، ثم أخبر أهل مكة جميعاً، منهم من آمن ومنهم من كفر.

أيها المسلمون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عرج بي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ[2]. في ليلة واحدة من شهر رجب وقع للمصطفى صلى الله عليه وسلم حادث الإسراء والمعراج، أما حادث الإسراء فيبتدئ من مكة إلى بيت المقدس بالشام على البراق، وأما حادث المعراج فيبتدئ من بيت المقدس وينتهي بفرض الصلاة عليه من ربه على أمته.

المعراج سلم عجيب، أتى به من جنة الفردوس له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب، والجانب الأيمن ياقوتة حمراء والجانب الأيسر زمردة خضراء، صعد عليه المصطفى صلى

---

[1] أم هانئ بنت أبي طالب (؟ – بعد 40هـ، ؟ – بعد 661م). أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .صحابية جليلة المشهور أن اسمها فاختة. تزوجها هبيرة بن عمرو المخزومي. أسلمت عام الفتح وأجارت رجلين من المشركين يوم الفتح من القتل. فأقر رسول الله إجارتها. وفى يوم الفتح أيضًا فرّ زوجها هبيرة إلى نجران، ومات فيها كافرًا طريدًا (الموسوعة العربية العالمية). ورد في فتح الباري لابن حجر (7/ 204): وَفِي رِوَايَةِ الْوَاقِدِيِّ بِأَسَانِيدِهِ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِئٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ أَنَّهُ بَاتَ فِي بَيْتِهَا قَالَ فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَنَّهُ نَامَ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِئٍ وَبَيْتُهَا عِنْدَ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ فَفُرِّجَ سَقْفُ بَيْتِهِ وَأَضَافَ الْبَيْتَ إِلَيْهِ لِكَوْنِهِ كَانَ يَسْكُنُهُ فَنَزَلَ مِنْهُ الْمَلَكُ فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَكَانَ بِهِ مُضْطَجِعًا وَبِهِ أَثَرُ النُّعَاسِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ الْمَلَكُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبَهُ الْبُرَاقُ وَقَدْ وَقَعَ فِي مُرْسَلِ الْحَسَنِ عِنْدَ بن إِسْحَاقَ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ فَأَخْرَجَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَأَرْكَبَهُ الْبُرَاقُ وَهُوَ يُؤَيِّدُ هَذَا الْجَمْعَ وَقِيلَ الْحِكْمَةُ فِي نُزُولِهِ عَلَيْهِ مِنَ السَّقْفِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي مُفَاجَأَتِهِ بِذَلِكَ.

[2] قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ): صوت ما تكتبه الملائكة بأقلامها من أقضية الله تعالى ووحيه، أو ما ينسخونه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله من ذلك. فتح الباري لابن رجب (2/ 318)؛ شرح النووي على مسلم (2/ 221).

الله عليه وسلم بروحه وجسده، وهو موجود الآن يراه الميت وقت الاحتضار[1]، وتصعد روح المؤمن عليه إلى عليين في الجنة، أما روح الكافر فلا تصعد عليه وتكون في سجين وهو واد في جهنم.

تهبط الدرجة من المعراج حتى يستقر عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم فترقى به إلى السماء الأولى... وهكذا إلى أن ينتهي إلى سدرة المنتهى وفي كل سماء يحتفل به أهلها ويفرحون به ويرحبون بقدومه، ويرحب به المرسلون عليهم السلام، ويقولون مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فقد رأى صلى الله عليه وسلم في السماء الأولى آدم عليه السلام، وفي السماء الثانية، عيسي ويحي وزكريا، وفي السماء الثالثة يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم الخليل عليه السلام، جالس عند باب الجنة على كرسي من ذهب مسند ظهره إلى البيت المعمور، وقال للمصطفى صلى الله عليه وسلم مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقال له وما غراسها؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله[2] والله وأكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم دخل المصطفى صلى الله عليه وسلم البيت المعمور وصلى فيه، وإذا به يدخل كل يوم سبعون ألف ملك فإذا دخلوا لا يخرجون منه إلى يوم القيامة، والبيت المعمور فوق الكعبة تماماً.

ثم عرج المصطفى إلى سدرة المنتهى، وهي وإليها ينتهي ما يعرض من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض منها، وهي شجرة عظيمة ، يخرج من

---

[1] لم نعثر على شواهد من الحديث النبوي عن الأوصاف والمعلومات المذكورة عن السلم السماوي.

[2] ولا شك أن هذه الكلمة كلمة عظيمة فهي التي يدخل بها الإنسان في دين الإسلام فهي مفتاح الإسلام كما جاء في الحديث أن مفتاح الجنة هو لا إله إلا الله ومنها أيضا فضيلة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وأن هذه غراس الجنة يعني أن الإنسان إذا قالها يغرس له في الجنة غرسا في كل كلمة ومنها أن ذكر الله عز وجل من أفضل الأعمال وأوفاها وأحبها إلى الله عز وجل بل هو من أسباب الثبات عند اللقاء، شرح رياض الصالحين (5/ 520)، تأليف محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، يسير الراكب في ظلها سبعون عاما لا يقطعها، الورقة الواحدة منها تظل الخلائق بأجمعها، وثمرها قدر الجمل وعليه حمولته، فلما مر عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم تحولت ياقوتاً وزبرجد وغشيتها الملائكة فازدادت حسنا وبهاء وجمالا، احتفالا بحبيب الله محمدا عليه السلام، ثم رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم الجنة، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ورأى خازن النار غاضبا عابس الوجه، ورأى النار وسعيرها لو ألقيت فيها الحديد لأطيته، ثم أغلقت النار دونه.

وعند سدرة المنتهى تأخر الأمين جبريل، فقال له النبي هل يترك الخليل خليله، فقال جبريل هذا مقامي {وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ} [الصافات: 164]، ثم عرج بالمصطفى إلى مستوى سمع فيه صوت الأقلام[1] تخط من اللوح المحفوظ ما قدر الله على البشر، ورأى رجلاً مغيبا في نور العرش، فقال الرسول: من هذا؟ أملك، قيل: لا، أنبي، قيل: لا ، قال: من هو؟ قال: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب بذكر الله تعالى، وقلبه معلق بالمساجد، ولم ينسب لوالديه قط[2] ثم رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ربه بدون كيف ولا انحصار، فمر النبي ساجدا لربه، ثم كلمه ربه عند ذلك وقال له: "يا محمد ارفع رأسك" فقال لبيك يا رب، فحيا الله تعالى فقال "التحيات لله والصلوات الطيبات"، فحياه الله تعالى وقال "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" فقال الرسول: "والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" ثم قالت الملائكة "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله"، ثم فرضت عليه الصلوات في أول الأمر خمسين، ثم طلب المصطفى صلى الله عليه وسلم التخفيف،

---

[1] ففي هذا أن العلم ينبغي أن يكتب بأقلام كثيرة، تلك سنة في سماواته، فكيف في أرضه. شرح صحيح البخاري لابن بطال (2/ 13).

[2] ورد في موقع الإسلام سؤال وجواب للشيخ صالح المنجد: وهذا إسناد ضعيف جدا، وفيه علل.

فخففت حتى صارت خمساً ثم نودي "يا محمد لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين" أي في الثواب والأجر.

ثم رجع المصطفى صلى الله عليه وسلم فركب المعراج حتى انتهى به إلى بيت المقدس، ثم ركب البراق، وسار به يضع حافره عند منتهى نظره، وفي أثناء الطريق مر بقافلة، قد ضلوا جملا لهم، ثم سلم عليهم فقالوا: هذا صوت محمد، وإذا بقدح من ماء على ناقة لهم فشرب منه، ثم مر بقافلة ثانية، فلما حاذى جملا عليه غرارة[1] بيضاء وغرارة سوداء نفرت ذلك العير وانكسرت، ثم مر على القافلة الثالثة يقدمه جمل أورق[2] عليه غرارتان سوداوان، ثم انتهى إلى البيت وعاد جبريل بالبراق، فلما أصبح المصطفى صلى الله عليه وسلم، أخبر قومه بذلك فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون، وتعجبوا من هذا الحادث وقالوا له صف لنا بيت المقدس فوصفه المصطفى صلى الله عليه وسلم لهم، فقالوا له أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بالعير وما حدث لها أثناء الطريق وقال لهم قدومها عليكم في يوم كذا، فلما قدمت في ميعادها وأخبر أهل العير بما حدث لهم في الطريق من كسر جمل لهم وشرب إناء لهم به ماء، وضياع ناقة لهم وسماعهم صوت محمد، وغير ذلك من الآيات البينات، طمس الله على قلوبهم، وأعمى بصيرتهم فقالوا ساحر ومجنون، {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67]."[3]

عباد الله: ادعوا الله يستجب لكم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

---

[1] الغِرَارَةُ: وعاءٌ من الخيش ونحوه يوضع فيه القمحُ ونحوه، وهو أَكبرُ من الجُوالق والجمع: غرائرُ.

[2] الأورق: الأسمر والورقة السمرة يقال جمل أورق وناقة ورقاء أي أسمر وسمراء. مسند الشافعي، ترتيب السندي (2/ 31).

3 أصل القصة في كتاب الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ). ورد في موقع الدرر السنية قصة قريبة منها: الراوي : أنس بن مالك، المحدث : ابن كثير ، المصدر : تفسير القرآن، خلاصة حكم المحدث : فيه غرائب عجيبة.

[قصة المعراج في الصحيحين]

[عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

"بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ[1] مُضْطَجِعًا[2]، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَم، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ، أَبْيَضَ، يُقَالَ لَهُ: البُرَاقُ، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ:

---

[1] سمي حطيم الْبَيْت أَي الْكَعْبَة حجرا، وسمي حطيما لِأَنَّهُ محطوم الْحِجَارَة، وَهُوَ الْحَائِط المستدير إِلَى جَانب الْكَعْبَة. إِنَّمَا قيل لَهُ الْحطيم لما حطم من جِدَاره فَلم يسوّ بِبنَاء الْبَيْت وَترك خَارِجا مِنْهُ، وَقيل: إِنَّمَا سمي الْحطيم لِأَن بَعضهم كَانَ إِذا دَعَا على من ظلمه فِي ذَلِك الْموضع هلك. وسمي الْحطيم حطيماً لما يحْجر عَلَيْهِ، أَو لِأَنَّهُ قصر بِهِ عَن بِنَاء الْبَيْت، وَأخرج عَنهُ، فعلى هَذَا يكون الْحطيم بِمَعْنى المحطوم: سمي بِهِ لِأَن النَّاس يحطم فِيهِ بَعضهم بَعْضًا من الزحام عِنْد الدُّعَاء فِيهِ، وَقيل: الْحطيم هُوَ بِئْر الْكَعْبَة الَّتِي كَانَ يلقى فِيهَا مَا ينذر لَهَا، وَقيل: الْحطيم مَا بَين الْحجر الْأسود وَالْمقَام، وَقيل: من زَمْزَم إِلَى الْحجر يُسمى حطيماً، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 272)، (16/ 299).

[2] اضطجعَ يضطجع، اضطجاعًا، فهو مُضطجِع؛ اضطجع الشَّخصُ: ضجَعَ؛ اضَّجع؛ استلقى، وضع جنبه على الأرض أو نحوِها "اضطجع على الأرض- اضطجع في فِراشِه". معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1347).

مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؛ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ. قَالَ: هَذَا هَارُونُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى. قَالَ: هَذَا مُوسَى، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي؛ لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي[1].!

---

[1] ورد في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري (9/ 3761) قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لَمْ يَكُنْ بُكَاءُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَدًا مَعَاذَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْحَسَدَ فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ مَنْزُوعٌ مِنْ آحَادِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَيْفَ مِمَّنِ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ فِي عَالَمِ الْمَلَكُوتِ، بَلْ كَانَ أَسَفًا عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الْأَجْرِ الَّذِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ رَفْعُ الدَّرَجَةِ بِسَبَبِ مَا وَقَعَ مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُخَالَفَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِتَنْقِيصِ أُجُورِهِمُ الْمَلْزُومِ لِنَقْصِ أَجْرِهِ، لِأَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنِ اتَّبَعَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: غُلَامٌ فَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ التَّنْقِيصِ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ التَّنْوِيهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ، إِذْ أَعْطَى لِمَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ السِّنِّ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا قَبْلَهُ مِمَّنْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ. وَقَالَ الْعَسْقَلَانِيُّ: وَيَظْهَرُ لِي أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَارَ إِلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنِ اسْتِمْرَارِ الْقُوَّةِ فِي الْكُهُولَةِ إِلَى أَنْ دَخَلَ فِي أَوَّلِ الشَّيْخُوخَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى بَدَنِهِ هِرَمٌ، وَلَا اعْتَرَى قُوَّتَهُ نَقْصٌ. قُلْتُ:

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ. قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، فقَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ[1]. ثُمَّ رُفِعَتْ لِيَ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ[2]، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى. وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ؛ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، قُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ ثُمَّ فُرِضَ عَلَيَّ صَلَاةُ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ، فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا.

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ تَسْمِيَتِهِ غُلَامًا أَنَّهُ حِينَ مُرُورِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كَانَ فِي مُدَّةِ عُمُرِهِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِهِمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ مُرُورُ الْأَزْمِنَةِ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ الْبَرْزَخِ، وَقَدْ يُعْتَبَرُ كَوْنُهُ غُلَامًا لِمَا حَصَلَ لَهُ الْمَرْتَبَةُ الْعَلِيَّةُ فِي قَلِيلٍ مِنْ مُدَّةِ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ.

[1] ألا ترى أن كلهم قال له: (الصالح) لشمول الصلاح على سائر الخلال الممدوحة من الصدق، والأمانة، والعفاف، والصلة، والفضل ولم يقل أحد: مرحبًا بالنبي الصادق الأمين وما شاكله؛ لشمول الصلاح وعمومه لسائر خلال الخير. شرح صحيح البخاري لابن بطال (2/ 12).

[2] ورد في فتح الباري لابن رجب (2/ 323)، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فقال: هذه سدرة المنتهى، ولكن في فتح الباري لابن حجر (1/ 192)، وَإِذا نبقها أَي ثَمَرَهَا والنبق ثَمَر السدر... قِلَالِ هَجَرَ ... الْقِلَالُ بِالْكَسْرِ جَمْعُ قُلَّةٍ بِالضَّمِّ هِيَ الْجِرَارُ يُرِيدُ أَنَّ ثَمَرَهَا فِي الْكُبْرِ مِثْلُ الْقِلَالِ.

فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا. فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ!! وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قُلْتُ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْه، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي" (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)].

الصلاة

العناصر: منزلتها في الإسلام، حكم ترك الصلاة.

أيها المسلمون: للصلاة في الإسلام منزلة، لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين، الذي لا يقوم إلا به[1] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُه الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنامِهِ الجِهَادُ في سَبِيْلِ الله" [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ صحيح][2]. وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج من غير واسطة "عن الزُّهْرِيِّ عَن أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ، ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسَاً، ثُمَّ نُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ: إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ القَولُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الخَمْسِ خَمْسِينَ." [قَالَ الترمذي: حَدِيثُ أَنَسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ]" .

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أَوَّلُ ما يحاسبُ بِهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإن صلُحَت صلُحَ سائرُ عملِهِ، وإن فسَدت فسدَ سائرُ عملِهِ**"[3].

---

[1] من كلام السيد سابق في فقه السنة الجزء الأول.

[2] "(ألا أخبرك برأس الأمر كله) أي بأصل كل أمر (وعموده) أي ما يقوم ويعتمد عليه (وذروة سنامه) بكسر الذال وهو الأشهر وبضمها وحكي فتحها أعلى الشيء والسنام بالفتح ما ارتفع عن ظهر الجمل قريب عنقه (قال رأس الأمر) أي أمر الدين (الإسلام) يعني الشهادتين وهو من باب التشبيه المقلوب، إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه وعدم بقائه دونه (وعموده الصلاة) يعني الإسلام هو أصل الدين إلا أنه ليس له قوة وكمال، كالبيت الذي ليس له عمود فإذا صلى وداوم قوى دينه ولم يكن له رفعة فإذا جاهد حصل لدينه رفعة وهو معنى قوله: (وذروة سنامه الجهاد) وفيه إشعار إلى صعوبة الجهاد وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال، والجهاد من الجهد بالفتح وهو المشقة، أو بالضم وهو الطاقة لأنه يبذل الطاقة في قتال العدو عند فعل العدو مثل ذلك" (المباركفوري، تحفة الأحوذي، كتاب الإيمان عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم 1632 باب مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصلاة).

[3] الراوي : عبدالله بن قرط | المحدث : المنذري | المصدر : الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم | 1/189 :خلاصة حكم المحدث : "لا بأس بإسناده إن شاء الله" . (موقع الدرر– الموسوعة الحديثية).

وهي آخر وصية، وصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عند مفارقته الدنيا، جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: "عن عَلِيّ رضي الله عنه قالَ: "كَانَ آخِرُ كَلاَمِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم :الصّلاَةَ الصّلاَةَ، اتّقُوا الله فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ." [رواه أبو داود]. [قال العلماء: أي احفظوها بالمواظبة عليها واحذروا تضييعها وخافوا ما يترتب عليه من العذاب. وفي مسند الإمام أحمد عن قتادة قال حدث سفينة مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عامة وصية نبي الله صلى الله عليه وسلم عند موته **الصلاة الصلاة** وما ملكت أيمانكم حتى جعل نبي الله صلى الله عليه وسلم يلجلجها في صدره وما يفيض بها لسانه].

وهي آخر ما يُفقد من الدين، وإن ضاعت ضاع الدين كله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُرْوَةً عُرْوَةً[1]، فَكلَّما انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بِالَّتِي تَلِيها، فأولُهُنّ نَقْضًا الحُكْمُ، وآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ"[2].

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم ، يرى أن الله تعالى يذكر كثيرا من الطاعات، ويقرنها دائما بالصلاة، مما أعطى الصلاة في جملة الطاعات منزلة كبيرة واهتماماً بليغا، فنراه يذكر الصلاة ويقرنها بالذكر تارة : {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45]، {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)} [الأعلى: 14، 15] {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: 14]. ويقرنها بالزكاة تارة أخرى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43]، ومرة بالصبر

---

[1] العروة: ما يوثق به، ما يُعوَّل عليه ويُتمسَّك به "قويت بيننا عُرى الصَّداقة: علاقات الصَّداقة- وطَّد عُرَى المحبَّة- {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}: الرباط الوثيق وهو الإسلام أو شهادة لا إله إلا الله" ، انْحَلَّت عُراه: ضَعُف وتفكَّك. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1490).

[2] الراوي : أبو أمامة الباهلي |المحدث : الألباني |المصدر : صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم | 572 :خلاصة حكم المحدث : صحيح (موقع الدرر- الموسوعة الحديثية).

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45]، وطورا بالنسك[1] {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)} [الأنعام: 162، 163].

وقد بلغ من عناية الإسلام بالصلاة، أن أمر بالمحافظة عليها في الإقامة والسفر، والأمن والخوف وساعة الحرب، قال تعالى "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239) (سورة البقرة)[2]." وكل إنسان مسئول أمام الله عن أولاده وزوجته التاركين للصلاة، قال تعالى "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) (سورة طه)." وشدد الإسلام النكير على من يفرط فيها، وهدد الذين يضيعونها فقال "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59)، (سورة مريم)." وقال: "فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) (سورة الماعون).

---

[1] طورا بالنسك أي وتارة بالتعبد؛ نسَك الرّجُلُ: تزَهَّد وتعبَّد. نسَك لله: تقرَّب إليه بأفعال البرّ والطاعة. وَالنُّسُكُ حَقِيقَتُهُ الْعِبَادَةُ وَمِنْهُ يُسَمَّى الْعَابِدُ النَّاسِكُ كما في كتب اللغة والتفسير.

[2] ورد في تفسير ابن كثير " يأمر تَعَالَى بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَحِفْظِ حُدُودِهَا وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أفضل؟ قال: «الصلاة في وَقْتِهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "بِرُّ الوالدين: " وفي الحديث: «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعْجِيلُ الصَّلَاةِ لأول وقتها» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي) وَخَصَّ تَعَالَى مِنْ بَيْنِهَا بِمَزِيدِ التَّأْكِيدِ (الصَّلَاةَ الْوُسْطَى) وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ فِيهَا أَيُّ صلاة هي؟ فقيل: (الصبح) حكاه مالك لما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ فَقَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ وَقَالَ: هَذِهِ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ}، وَهُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ محتجاً بقوله تعالى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} وَالْقُنُوتُ عِنْدَهُ فِي صَلَاةِ الصبح، ومنهم من قال: هي وسطى بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا لَا تُقْصَرُ وَهِيَ بَيْنَ صَلَاتَيْنِ رباعيتين مقصورتين وقيل: إنها (صلاة الظهر) روي عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشُدُّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم مِنْهَا فَنَزَلَتْ: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ} وقيل: إنها (صلاة العصر) وهو قول أكثر علماء الصحابة وجمهور التابعين."

ومن ترك الصلاة إنكارا لها، كفر وخرج عن ملة الإسلام، بإجماع المسلمين، ومن تركها مع إيمانه بها، واعتقاده فرضيتها ولكن تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها، بما لا يعد في الشرع عذرا، فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله "عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِراً يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم- يَقُولُ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ.[1]" . وقال "عُرَى الإسلامِ وقواعدُ الدِّينِ ثلاثةٌ عليهنَّ أُسِّس الإسلامُ من ترك واحدةً منهنَّ فهو كافرٌ حلالُ الدَّمِ[2] شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ والصَّلاةُ المكتوبةُ وصومُ رمضانَ"[3] .

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: "مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُرْهَانٌ وَلَا نُورٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ وَأُبَيِّ بن خَلَفٍ" [4].

وكون تارك الصلاة وعدم المحافظة عليها مع أئمة الكفر في الآخرة، يقتضي كفره، قال ابن القيم: تارك المحافظة على الصلاة، إما أن يشغله ماله، أو ملكه، أو رياسته أو تجارته، فمن شغله عنها مال فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن

---

[1] رواه مسلم.

[2] رأي بعض العلماء أن الأحاديث المتقدمة ظاهرها يقتضي كفر تارك الصلاة وإباحة دمه، ولكن كثيرا من علماء السلف والخلف، منهم أبو حنيفة، مالك، والشافعي أنه لا يكفر، بل يفسق ويستتاب، فإن لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعي وغيرهما. وقال أبو حنيفة: لا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد أو المستحل للترك، انظر: فقه السنة للسيد سابق (1/ 94).

[3] الجامع الصغير للسيوطي، التخريج (مفصلا): أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس، تصحيح السيوطي: حسن (موقع المحدث). وفي موقع الدرر: لراوي : عبدالله بن عباس |المحدث : المنذري |المصدر : الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم | 2/125 :خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن.

[4] صحيح ابن حبان - محققا (4/ 329)، وورد في موقع الدرر" الراوي : عبدالله بن عمرو |المحدث: الشوكاني |المصدر: نيل الأوطار، الصفحة أو الرقم | 1/372 :خلاصة حكم المحدث : صالح للاحتجاج".

خلف. فحافظوا أيها المسلمين على أداء الصلوات الخمس وأمروا أولادكم وأزواجكم بإقامتها، يجعل الله لكم نورا في الدنيا تمشون فيه وتهتدون به في الآخرة {ومَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور: 40].

عباد الله أقول قولي هذا وأستغفره الله لي ولكم.

[اعْلَمْ – هَدَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ – أَنَّ الصَّلَاةَ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَى جُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنَ الِاعْتِقَادِ بِالْقَلْبِ وَالِانْقِيَادِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْمُشَاهَدَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِسْلَامِ الْوَجْهِ لَهُ وَالصُّمُودِ إِلَيْهِ وَالِاطِّرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَى أَقْوَالِ اللِّسَانِ وَأَعْمَالِهِ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالْأَدْعِيَةِ وَالتَّعَوُّذِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالِاعْتِذَارِ مِنَ الذَّنْبِ إِلَيْهِ وَالْإِقْرَارِ بِالنِّعَمِ لَهُ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ. وَعَلَى عَمَلِ الْجَوَارِحِ مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْقِيَامِ وَالِاعْتِدَالِ وَالْخَفْضِ وَالرَّفْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. هَذَا مَعَ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الشَّرَائِطِ وَالْفَضَائِلِ – مِنْهَا الطَّهَارَةُ الْحِسِّيَّةُ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْأَنْجَاسِ الْحِسِّيَّةِ ، وَالْمَعْنَوِيَّةُ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَسَائِرِ الْأَرْجَاسِ – وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَنَقْلُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ. وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ "وَلِاشْتِمَالِهَا عَلَى مَعَانِي الْإِيمَانِ سَمَّاهَا اللَّهُ إِيمَانًا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (الْبَقَرَةِ: 143). وَهِيَ ثَانِيَةُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فِي الْفَرْضِيَّةِ، فَإِنَّهَا فُرِضَتْ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ بَعْدَ عَشْرٍ مِنَ الْبِعْثَةِ لَمْ يَدْعُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَهَا إِلَى شَيْءٍ غَيْرِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ الرُّكْنُ الْأَوَّلُ][1].

[1] من كتاب: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لمؤلفه: حافظ بن أحمد الحكمي، دار ابن القيم سنة النشر: 1415هـ / 1995م، عدد الأجزاء: ثلاثة أجزاء، المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب.

شهر الله المحرم

العناصر: التعريف به وبفضائله، منع القتال فيه، هدف الإسلام من القتال، تنظيم هذا الشهر وصوم تاسوعاء وعاشوراء .

أيها المسلمون : شهر الله المحرم[1]، مفتتح العام الهجري، ومرجع ضيوف الله من حجهم، وزيارة هاديهم ورسولهم، سماه العرب قبل الإسلام المحرم، لأنهم حرموا فيه البغي والعدوان، والقتال وإراقة الدماء، عرف مقدس، وتقليد محترم لديهم جميعاً، حتى إن الحرب بينهم تكون حامية الوطيس، فيهل هلال شهر من الأشهر الحرم، فيضع الفريقان السلاح توا، وتبطل الحرب، ويقف القتال، بدون تردد أو مراجعة أو محاولة.

جاءهم الإسلام وهو لا يريد الحرب مطلقاً، ولكن يضطر إليها اضطراراً. والحرب في الإسلام عملية جراحية لمرض اجتماعي[2]، لا يجيزها إلا إذا لم ينفع دواء ولم يشفع تعليم أو نداء، فأقرهم على منع القتال في الأشهر الحرم بقوله {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} (سورة التوبة: 36). أربعة حرم؛ ثلث العام يحرم فيه القتال

---

[1] ورد في الموسوعة العربية العالمية : المحَرَّم أول شهور السنة وفق التَّقويم الهجري. وقد سُمّي بهذا الاسم نحو عام 412م في عهد كلاب بن مُرّة الجد الخامس للرسول. سمي هذا الشهر محرمًا لأن العرب كانت تحرم فيه الحرب والإغارة، وقيل إنهم أطلقوا عليه هذا الاسم لأنهم تقاتلوا فيه فوقعت بينهم مقتلة عظيمة، فحرَّموا فيه القتال، وسمّوه محرمًا. وهو من الأشهر الحرم التي ذكرت في القرآن وهي: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. وفي هذه الأشهر، كانت تُقام الأسواق للتجارة، والشِّعر، وتبادل المنافع في كل من عكاظ والمربد وذي المجاز والمجنة. وكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه، فلا يهيجه تعظيمًا لحرمة هذا الشهر. وكانت العرب تنسؤه (تؤخره) فتحرمه عامًا وتستحلّه عامًا قال الشاعر :

أقمنا بها شَهْرَيْ ربيع كليْهما وشهْرَي جمادى واستحلوا المحرما

[2] قال السيد محمد الحسيني الشيرازي: "الحرب حالة استثنائية في الإنسان، حالها حال إجراء العملية الجراحية، وإلا فاللازم عند الخلاف تحكيم الحوار، ورضوخ من ليس له الحق للحق، وقد كان من مفاخر الأديان أنها تحكم الكلمة".

والعدوان والحروب، هذا تقليد العرب وتشريع الإسلام [اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيمِ ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ: هَلْ هُوَ مَنْسُوخٌ أَوْ مُحْكَمٌ؟].

فالإسلام جاء بالحق الذي منه تعظيم الأشهر الحرم، والتوجه إلى الله فيها بالعبودية والخضوع وكثرة الصوم في المحرم تقرباً وتطهراً. عن النّعْمَانِ بنِ سَعْدٍ عن علي قال: "سألَهُ رَجُلٌ فقالَ أَيّ شَهْرٍ تأْمُرُنِي أَنْ أَصُومَ بَعْدَ شَهْر رَمَضَانَ؟ قالَ لَهُ ما سَمِعْتُ أحداً يَسْأَلُ عن هذا إلاّ رَجُلاً سَمِعْتُهُ يَسْأَلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأَنا قَاعِدٌ، فقالَ: يا رسولَ الله أَيّ شَهْرٍ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصُومَ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قالَ: إنْ كُنْتَ صَائِماً بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ فَصُمِ المحَرّمَ فإِنّهُ شَهْرُ الله، فيهِ يَوْمٌ تَابَ فيهِ على قَوْمٍ ويَتُوبُ فيهِ على قَوْمٍ آخَرِينَ"[1].

وقال عليه الصلاة والسلام "أَفضَلُ الصيَّامِ بَعدَ شَهرِ رَمضَانَ شَهرُ الله المحَرَّمُ وَأَفضَلُ الصَّلاَةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيلِ." (رواه مسلم).

"عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ[2]". وهكذا يقر الإسلام مما قبله كل ما يتفق معه في العبادة والطاعة والشكر لله على نجاة رسله، ولكن رَسُول اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " الذي صام عاشوراء وأمر بصيامه شكراً لله على نجاة موسى عليه السلام هو المتأمل في آخر عمره "لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىَ قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ."[3] ويأتي فقيه الأمة ابْن عَبَّاس، فيصرح بالحكمة فيقول: "صُومُوا قبله يَوْمًا وَبعده يَوْمًا، وخالفوا الْيَهُود"[4]. أو كما قال...

---

[1] رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

[2] صحيح البخاري (3/ 44).

[3] رواه مسلم. قال علماؤنا: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعاً لأن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صام العاشر ونوى صيام التاسع.

[4] عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (11/ 117).

فضل ليلة النصف من شعبان

العناصر : تحويل القبلة، إنزال ملائكة الله برحمته، تعبده عليه السلام في تلك الليلة.

يا أيها المسلمون : الله تعالى الذي فضل ليلة القدر على سائر الليالي، بسبب نزول القرآن فيها، فضل ليل النصف من شعبان على سائر الليالي، لما فيها من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة[1]، وتجلى الله على عباده بالمغفرة والرحمة والرضوان، ونزول ملائكة الرحمة في تلك الليلة المباركة، ولذا قال عطاء بن يسار: "ما بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان "وقد فضل الله العبادة فيها، فقد ورد عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِائَةَ رَكْعَةٍ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَلَكٍ ثَلَاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ، وَثَلَاثُونَ يُؤَمِّنُونَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَثَلَاثُونَ يَدْفَعُونَ عَنْهُ آفَاتِ الدُّنْيَا، وَعَشَرَةٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ مَكَايِدَ الشَّيْطَانِ".[2]

---

[1] قال ابن الجوزي في زاد التفسير " اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة. والثاني: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة. والثالث: جمادى الآخرة." (ج1، ص 122، باختصار). زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار، الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ (انظر موقع المكتبة الشاملة).

[2] يقول محمد راتب النابلسي الحقيقة موضوع ليلة النصف من شعبان ورد فيها شيء كثير، لكن هذا الكثير أكثره غير صحيح، ما صح من هذا الكثير هو أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: عن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ" (النسائي عن أسامة بن زيد). هذا الحديث ورد في الترغيب والترهيب عن رسول الله. النبي عليه الصلاة والسلام كأنه يستعد لرمضان في الإكثار من العبادات في شعبان، كأن هذه النفس تهيئ لتأخذ سرعتها القصوى في رمضان." (موسوعة النابلسي، فضل ليلة النصف من شعبان). ومن فضل شهر شعبان خصه المصطفى بزيادة الصيام فيه وهو شهر ترفع فيه الأعمال وموسم من مواسم الخيرات (انظر كتاب الخطب المنبرية، وزارة الأوقاف الكويتية، 2011، مكتب الشئون الفنية، ج1، ص 322، فضل شعبان). ومن جهة أخرى يرى كثير من العلماء ضعف ما ورد من الأحاديث النبوية في فضل ليلة النصف من شعبان ومنهم الشيخ ابن باز الذي يرى: "ومن البدع التي أحدثها بعض الناس: بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام، وليس على

وفي مكة، كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يصلي قبل هجرته إلى الكعبة، فلما خرج مهاجراً إلى المدينة، وبنى مسجد قباء المعروف قرب المدينة، أمره الله بالصلاة إلى بيت المقدس، فظل يصلي بأصحابه سبعة عشر شهراً، امتثالاً لأمر ربه، وفي تلك المدة كان عليه السلام دائم الحنين إلى الكعبة قبلة أبيه إبراهيم في مكة بلد الله الحرام، وأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلى نفسه. روى جَابر: "أَن النَّبِي بعد مَا قدم الْمَدِينَة صلى إِلَى بَيت الْمُقَدّس سِتَّة عشر شهرا أَو سَبْعَة عشر شهرا وَكَانَ يود أَن يحوله الله إِلَى الْكَعْبَة فَكَانَ يَقُول لجبريل: وددت لَو حولني الله إِلَى الْكَعْبَة؛ فَإِنَّهَا قبْلَة أبي إِبْرَاهِيم، وَكَانَ يَقُول لجبريل: سل رَبك، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيل: سل أَنْت، فَإِنَّك عِنْد الله بمَكَان، وَكَانَ كلما نزل جِبْرِيل تردد وَجهه فِي السَّمَاء؛ رَجَاء أَن ينزل بالنسخ"[1].

ولهذا كان عليه السلام كثيراً ما يقلب بصره إلى السماء، داعياً ربه في ضراعة، أن يحقق ما تميل له نفسه، فأجابه الله إلى ما طلب، وحقق له ما أراد وأنزل عليه قوله الكريم: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) " (سورة ص). ولما تحولت القبلة إلى الكعبة، سخر اليهود من ذلك، فنزل قوله تعالى "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)" (سورة البقرة).

ومن فضائل تلك الليلة، أن الله تعالى يتجلى فيها على عباده برحمته ومغفرته ورضوانه، وفيها يقبل دعاء الداعين وتوبة التائبين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها، فكله موضوع".

[1] انظر تفسير القرآن (ج1، ص 151)، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م

"إنَّ اللَّهَ يطَّلِعُ إلى عبادِهِ في ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ للمؤمنينَ ويُملي للكافِرينَ ويدعُ أَهْلَ الحقدِ لحقدِهم حتى يدَعوهُ"[1].

ويقول عليه السلام "إذا كانت ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ فقوموا ليلَها وصوموا يومَها، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالَى ينزِلُ فيها لغروبِ الشَّمسِ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيقولُ: ألا من مستغفرٍ فأغفرَ له ألا من مسترزِقٍ فأرزُقَه ألا من مبتلًى فأعافيَه ألا كذا ألا كذا حتَّى يطلُعَ الفجرُ"[2].

تلك الليلة المباركة، بالصلاة فيها والإكثار من الاستغفار والدعاء والتوبة إلى الله وعمل الصالحات والتصدق على الفقراء والمساكين فلقد روى عن عائشةَ رضيَ اللهُ تعالى عنهَا قالتْ: كانتْ ليلةُ النصفِ من شعبانَ ليلتِي فبَاتَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ عندِي فلمَّا كان في جوفِ الليلِ فقَدتُهُ فأخذَنِي ما يأخذُ النساءَ من الغَيْرَةِ فتَلَفَّفْتُ بمِرطِي واللهِ ما كانَ مِرْطِي قَزًّا ولا خَزًّا ولا حريرًا ولا دِيبَاجًا ولا قُطْنًا ولا كِتَّانًا ولا صُوفًا، قيلَ فَمِمَّ كانَ يا أمَّ المؤمنينَ؟ قالتْ كانَ سَدَاهُ شَعْرًا ولُحْمَتُهُ في أوْبَارِ الإبِلِ. قالت: فَطُفْتُ فَطَلَبْتُهُ في حُجَرِ نِسَائِهِ فلَمْ أَجِدْهُ فَرَجَعْتُ فانصَرفتُ إلى حُجْرَتِي فإذَا بِهِ كالثَّوْبِ السَّاقِطِ على وَجْهِ الأرضِ وهوَ ساجدٌ يقولُ في سُجُودِهِ سجَدَ لكَ سَوادِي وخَيَالِي وآمَنَ بكَ فؤادِي هذِهِ يدِي وما جَنَيتُ بها على نفسِي. يا عظيمُ يُرجَى لكلِ عظِيمٍ اغْفِرْ لي الذنبَ العظيمَ، أقولُ كمَا قالَ أخِي داودُ: أُعَفِّرُ وجْهِي في التُّرَابِ لسَيِّدِي، وحُقَّ لهُ أنْ يَسْجُدَ، سجَدَ وجهِي للذِي خلَقَهُ وشَقَّ سمْعَهُ وبصَرَهُ ثمَّ رفَعَ رأسَهُ فقالَ: اللهمَّ ارزقْنِي قَلبًا من الشِّرْكِ نقِيًّا لا كَافِرًا ولا شَقِيًّا ثم سجدَ فقالَ أعوذُ بِرِضَاكَ من

---

[1] ورد في موقع الدرر السنية: الراوي : أبو ثعلبة الخشني ، المحدث : ابن الجوزي، المصدر : العلل المتناهية، خلاصة حكم المحدث : لا يصح.

[2] ورد في موقع الدرر السنية: " الراوي : علي بن أبي طالب | المحدث : المنذري، المصدر : الترغيب والترهيب، خلاصة حكم المحدث : لا يتطرق إليه احتمال التحسين".

سَخَطِكَ وأعوذُ بِمُعافَاتِكَ من عُقوبَتِكَ وأعوذُ بكَ منكَ لا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أنتَ كمَا أثْنَيتَ على نفسِكَ[1].

فلما فرغ من صلاته، قال لزوجته عائشة "أتدرين أيَّ ليلةٍ هذه قلتُ اللهُ ورسولُه أعلمُ قال هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يطَّلعُ على عبادِه في ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ للمستغفرين ويرحمُ المسترحمين ويؤخِرُ أهلَ الحقدِ كما هم".[2]

[وبناء على جميع ما سبق : "فإن ليلة النصف من شعبان قد ورد في فضلها عدة أحاديث، منها ما هو صالح للاحتجاج، ومنها ما هو ضعيف لا يحتج به . فمما هو صالح للاحتجاج ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه" ورواه الطبراني، وحسنه الألباني- رحمه الله- في صحيح الجامع برقم 771. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن" رواه ابن ماجه، وابن حبان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. هذا، وقد قال عطاء بن يسار: ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان، يتنزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده كلهم، إلا لمشرك أو مشاجر أو قاطع رحم.

---

[1] انظر الدعاء للطبراني (ص: 195)، فضائل الأوقات للبيهقي (ص: 130)، النزول للدارقطني (ص: 171)، وأيضا موقع الدرر السنية : " الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : ابن حجر العسقلاني | المصدر : الأمالي المطلقة، خلاصة حكم المحدث : غريب ورجاله موثوقون إلا سليمان بن أبي كريمة ففيه مقال.

[2] ورد في موقع الدرر السنية: " الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : المنذري ، المصدر : الترغيب والترهيب. خلاصة حكم المحدث: فيه العلاء بن الحارث لم يسمع من عائشة".

فينبغي على العبد أن يتحلى بالطاعات التي تؤهله لمغفرة الرحمن، وأن يبتعد عن المعاصي والذنوب التي تحجبه عن هذه المغفرة. ومن هذه الذنوب: الشرك بالله، فإنه مانع من كل خير. ومنها الشحناء والحقد على المسلمين، وهو يمنع المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: أنظروا [أمهلوا] هذين حتى يصطلحا". رواه مسلم. فأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها.

ولم يثبت في تخصيص هذه الليلة بصلاة معينة، أو دعاء معين، شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه، وأول ظهور لذلك كان من بعض التابعين. قال ابن رجب في لطائف المعارف: (وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر وغيرهم، يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها. وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك فمنهم من قَبِلَه منهم ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز). وقال ابن تيمية رحمه الله: (وأما ليلة النصف من شعبان ففيها فضل، وكان في السلف من يصلي فيها، لكن الاجتماع فيها لإحيائها في المساجد بدعة). وقال الشافعي رحمه الله: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب ونصف شعبان. وأما صيام يوم النصف من شعبان فيسن على أنه من الأيام البيض الثلاثة، وهي: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، لا على أنه يوم النصف من شعبان، فإن حديث الصيام فيه لا يصلح للاحتجاج،

بل هو حديث موضوع، وهو قوله (إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَتَهَا وَصُومُوا يَوْمَهَا][1].

الصيام الصحيح المقصود في الإسلام

العناصر: كيفية الإفطار والسحور، ما عدا ذلك يخل بصحة البدن، تقوى الله سبحانه وتعالى.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، سورة البقرة: 183، شرع الصيام ليتحقق للمسلمين جميعاً صحة أبدانهم، وصحة أرواحهم، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "صوموا تصحوا[2]".

فصحة البدن لا تتحقق إلا إذا اقتدى المسلم بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته في كيفية إفطارهم وسحورهم، ويتبع النظام الذي ساروا عليه، كانوا يفطرون على تمرات، ثم يقومون لصلاة المغرب، وبعد الانتهاء من الصلاة، يعودون للطعام فيأكلون أكلاً خفيفاً، ثم يستريحون حتى يأتي وقت العشاء، فيؤدون تلك الفريضة ويصلون صلاة التراويح، ثم ينامون إلى أن يحين موعد السحور، ومنهم من كان يتعبد في الثلث الأول من الليل ثم ينام إلى أن يحين السحور، ووجبة السحور تكون كذلك أكلاً خفيفاً، وبعد

---

[1] أمالي ابن بشران – الجزء الأول (ص: 307)، شعب الإيمان للبيهقي (5/ 354)، فضائل الأوقات للبيهقي (ص: 124)، انظر: مركز الفتوى في موقع اسلام ويب: http://fatwa.islamweb.net

[2] قال الحافظ العراقي "تخريج أحاديث الإحياء" أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف". قال الألباني "لا شك أن الصوم الشرعي فيه كل الفوائد، لكن هذا الحديث، وبهذا اللفظ، لم يصح" انظر: الجامع الصحيح للسنن والمسانيد من تأليف صهيب عبدالجبار (13/ 141)؛ موقع اسلام ويب رقم الفتوى: 131751. ولكن نقرأ في موقع الإمام ابن باز: ورد عن النبي ﷺ حديث :صوموا تصحوا ولا بأس به (https://binbaz.org.sa/) .

ذلك يصلون الفجر، وبعد ذلك الصلاة من منهم من يضطجع إلى حين طلوع الشمس ومنهم من يبقى متعبدا لا ينام، ثم الكل يبكر للعمل حين طلوع الشمس في الأفق.

هذا هو النظام الذي كانوا يتبعونه في طريقة الإفطار والسحور وبذلك يخرجون من هذا الشهر أصحاء الأبدان والعقول. وهو من المقاصد التي قصد إليها الإسلام حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " صوموا تصحوا ".

أما ما عليه المسلمون الآن: من اتخاذ شهر الصيام للسهر والسمر طول الليل، فإذا ما جاء السحور أكل أكل المسعور، وحشر المعدة بالطعام حشراً حتى لا تستطيع التنفس ثم ينام بعد ذلك إلى العاشرة صباحاً، فإذا ما حان موعد الإفطار عند غروب الشمس عاود الكرة مرة أخرى فحشر المعدة بالطعام حشراً، ثم يشرب عليه ماء غزيراً، مثل هذا يفسد صحته، ويضر بدنه، ويخرج من رمضان مريضاً عليلاً متعبا.

وبذلك ضيع [الصائم] على نفسه الحكمة من الصيام وهي صحة الأبدان والعقول، ومن الناس من يعتدي على الناس بالشتم، ويهيج بينهم كالوحش الثائر، فإذا ما سئل عن هذه الفظاظة والغلظة، اعتذر بأنه صائم، ومثل هذه الرجل الشتام البذيء اللسان، لا ثواب له في صيامه، لأنه جهل الحكمة من الصيام، وهو **تعويد النفس وتمرينها على مكارم الأخلاق**، وضبطها وإمساكها عن التهور، كما أمسكها عن الطعام والشراب.

عَن أبي هُرَيْرَة، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "لَيْسَ الصّيام من الْأكل وَالشرب فَقَط، إِنَّمَا الصّيام من اللَّغْو والرفث، فَإِن سابك أحد أَو جهل عَلَيْك، فَقل: إِنِّي صَائِم[1]" واللغو كل كلام باطل، والرفث الجماع ودواعي التفكير فيه، فإن شتمك أحد أو أساء إليك فتذكر أنك صائم، وإذا حدثتك نفسك بفعل شيء ويغضب الله

[1] انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (10/ 276)، قال الحاكم في مستدركه هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. رفَث الرَّجلُ مع زوجته/ رفَث الرَّجلُ بزوجته: جامعها، أفضى إليها. رفَث الرَّجلُ في كلامه: أفحش وصرَّح فيه بكلام قبيح (كأن يُصرّح بما يُكْنَى عنه من ألفاظ النِّكاح). انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 914).

سبحانه وتعالى فتذكر أن الله مطلع عليك وأن الله يراقبك، فإذا أمسكن نفسك عما يغضب الله سبحانه وتعالى، كنت بذلك قد حققت الغرض من الصيام وهو التقوى، وإذا هداك الله للتقوى نلت سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

قال تعالى "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)" (سورة الطلاق). "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)" (سورة النحل). أي معهم بالنصر والتأييد في الدنيا، "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) (سورة الدخان)".

وهذه التقوى هي ثمرة الصيام، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} سورة البقرة: 183، وهذا الصائم الذي يرضى الله عنه ويُعظم له أجرا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي. الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا" [رواه البخاري]، وخلوف فم الصائم هو رائحة الفم الكريهة.

عباد الله ادعوا الله يستجب لكم.

فوائد شهر الصيام؛ [ففيه ليلة القدر خير من ألف شهر. من عَبَد الله فيها كان أجره أجر من عَبَد الله في ألف شهر، والصيام وقاية من عذاب جهنم، والصائم له فرحة عظيمة يوم القيامة يوم لقاء ربه، وللصائم باب في الجنة يدخل منه اسمه الريّان لا يدخل

منه غيره، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وفي شهر رمضان تُفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتُصَفَّد (تربط) الشياطين، ومن قام ليلة القدر فيه إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه.

وللصوم فوائد دنيوية كثيرة فهو مدرسة يتدرب فيها المؤمن على الأخلاق الكريمة وبالصوم يجاهد نفسه ويقاوم رغبته وشهوتي البطن والفرج؛ فيتعَّود الصبر وتقوى إرادته. كما أن الصوم يعود العبد الدقة في حياته فهو يتناول طعام السحور إلى طلوع الفجر ويتناول إفطاره عند الغروب ولا يؤخره. والصوم يُعَوِّد المسلم على مراقبة الله وتقواه. والصوم يُشعِر الغني بحاجة إخوانه الفقراء إلى الطعام والشراب وكم يعانون من فقدانها؛ فيدفعه ذلك إلى البذل والإحسان والتصدق على الفقراء، وهو صحة للبدن كله فإن المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء كما قال حكماء العرب. كما أنه يكسر حدّة الشهوة ويحمي من الانزلاق في الفواحش، وفي الحديث الشريف: يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (متفق عليه . والباءة: تكاليف الزواج، وقوله عليه السلام: وِجَاء أي يضعف شهوة الجنس)][1].

[1] الموسوعة العربية العالمية، بتصرف يسير.

ليلة القدر

العناصر: معنى ليلة القدر[1]، سبب النزول، تفسير الآيات، الأحاديث الواردة فيها.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)" (سورة القدر).

القرآن الكريم نزل من السماء في تلك الليلة المباركة، نزل به جبريل على المصطفى صلى الله عليه وسلم ليكون للناس بشيرا بالجنة ونذيراً من النار، وداعياً إلى طريق الهدى والرشاد، فقد أفلح من عمل بما في القرآن وتخلق بخلقه وتأدب بآدابه. قال تعالى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} (الإسراء: 9). فكان نزول القرآن الكريم في تلك الليلة المباركة شرفاً لها وتعظيماً.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة، من موت وحياة، ورزق ومطر، حتى الحج، يقال: يحج فلان ويحج فلان،

---

[1] "وليلة القدر سميت بذلك لوجهين: الوجه الأول: أنه يقدر فيها ما يكون في السنة من أعمال بني آدم وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم يعني: يفصل ويبين. والوجه الثاني: أن ذلك الشرف، أي ليلة القدر، أي ليلة ذات الشرف لأن قدرها عظيم، ويدل لذلك قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر... هذه الليلة خصت بفضلها هذه الأمة، فكانت لها، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه أعمار أمته فتقاصرها، فأعطي ليلة القدر وجعلت هذه الليلة خيرا من ألف شهر، فإذا كان الإنسان له عشرون سنة، صار له عشرون ألف سنة في ليلة القدر، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة. والله تعالى خص هذه الأمة وخص نبيها صلى الله عليه وسلم بخصائص لم تكن لمن سبقهم، فالحمد لله رب العالمين" باختصار، العثيمين، شرح رياض الصالحين (5/ 221، 222).

وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع اسمه في الموتى.[1] في تلك الليلة تظهر للملائكة ما قدر أزلا في علم الله سبحانه وتعالى. ثم يقول الله تعالى {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} (القدر: 2). أي أنك أيها الإنسان لا تعلم فضل تلك الليلة المباركة؛ لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى.

ثم فصل الله سبحانه فضل تلك الليلة بثلاثة أمور أولها قول {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، (القدر: 2). أي أن العمل الصالح في تلك الليلة له ثواب العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهذا تفضل من الله سبحانه وتعالى وتكريم لأمة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فسبب نزول تلك السورة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم، رأى أعمار الأمم السابقة، طويلة وأعمار أمته قصيرة فكان تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خير من ألف شهر "وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)" (سورة البقرة).

وفي تلك الليلة [ورد] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»[2]. " وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله

---

[1] ورد في المستدرك على الصحيحين للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. المجلد الثاني، كتاب التفسير، تفسير سورة حم الدخان: عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع اسمه في الموتى. ثم قرأ: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم} [الدخان: 3-4]. يعني: ليلة القدر، ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل. صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

[2] قَوْلُهُ (مَنْ حُرِمَهَا) عَلَى بِنَاءِ الْمَفْعُولِ وَكَذَا الْأَفْعَالُ الْبَاقِيَةُ قِيلَ الْمُرَادُ أَنَّهُ حُرِمَ لُطْفَ اللَّهِ وَتَوْفِيقَهُ وَمُنِعَ مِنَ الطَّاعَةِ فِيهَا وَالْقِيَامِ بِهَا (إِلَّا مَحْرُومٌ) وَهُوَ الَّذِي لَا حَظَّ لَهُ فِي السَّعَادَةِ، انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجه (1/ 504). الحديث في سنن ابن ماجه (1/ 526)، وقَالَ الْمُنْذِرِيُّ: وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ – تَعَالَى، انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من صَامَ رَمضَانَ وقَامَهُ إِيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذنبِهِ، ومن قَامَ لَيلَةَ القَدرِ إِيماناً واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذنبِهِ." [رواه الترمذي وقال: هَذَا حديثٌ صحيحٌ.]"

الأمر الثاني في فضل تلك الليلة قوله تعالى "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) " (سورة القدر).

الروح هو جبريل عليه السلام ينزل معه الملائكة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك فيعلم الله للملائكة المدبرات في تلك الليلة، والذين يحيون تلك الليلة تؤمن الملائكة على دعائه حتى يطلع الفجر، والأمر الثالث في فضل تلك الليلة قوله تعالى {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} (سورة القدر: 5). فيسلم الملائكة على القائمين بالعبادة في تلك الليلة.

وفي الحديث: "**فإذا كانَ آخرُ يومٍ من شَهرِ رمضانَ أعتقَ اللَّهُ في ذلِك اليومِ بقدرِ ما أعتقَ من أوَّلِ الشَّهرِ إلى آخرِهِ وإذا كانت ليلةُ القدرِ يأمرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ جبريلَ عليهِ السَّلامُ فيَهبطُ في كبْكَبةٍ[1] منَ الملائِكةِ إلى الأرضِ ومعَهم لواءٌ أخضرُ فيركِّزُ اللِّواءَ على ظَهرِ الكعبةِ ولهُ مائةُ جناحٍ منها جناحانِ لا ينشرُهما إلَّا في تلكَ اللَّيلةِ فينشرُهما في تلكَ اللَّيلةِ فيجاورُ المشرقَ إلى المغربِ فيحثُّ جبريلُ عليهِ السَّلامُ الملائِكةَ في هذِه اللَّيلةِ فيسلِّمونَ على كلِّ قائمٍ وقاعدٍ ومصلٍّ وذاكرٍ ويصافحونَهم فيؤمِّنونَ على دعائِهم حتَّى يطلُعَ الفجرُ فإذا طلعَ الفجرُ ينادي جبريلُ معاشرَ**

المصابيح للهروي القاري (4/ 1367)، وقال المتقي الهندي في كنز العمال (أخرجه ابن ماجه كتاب الصيام باب ما جاء في فضل شهر رمضان رقم (1644) وقال في الزوائد: في إسناده عمران بن داود مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات).

[1] كبكبة: جماعة.

الملائِكةِ الرَّحيلَ الرَّحيلَ فيقولونَ: يا جبريلُ فما صنعَ اللَّهُ في حوائجِ المؤمنينَ من أمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فيقولُ نظرَ اللَّهُ إليهم في هذِه اللَّيلةِ فعفا عنهم وغفرَ لَهم إلَّا أربعةً فقلنا: يا رسولَ اللَّهِ من هم قال مدمنُ خمرٍ، وعاقٌّ والديهِ، وقاطعُ رحمٍ ومشاحنٌ"[1].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنْ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ [رواه البخاري]. "عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَر[2]... قَالَتْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. [رواه مسلم]".

---

[1] انظر: أخبار مكة للفاكهي (ج2، 316)، فضائل الأوقات للبيهقي (ص: 252)، نزهة الألباب في قول الترمذي: وفي الباب، للوائلي الصنعاني (ج5، 2704). ورد في موقع الدرر- الموسوعة الحديثية: الراوي: عبدالله بن عباس، المحدث: البيهقي، المصدر: فضائل الأوقات، الصفحة أو الرقم 53: خلاصة حكم المحدث: في إسناده بعض من لا يعرف.

[2] شد المئزر يتأول على وجهين: أحدهما هجران النساء وترك غشيانهن. والآخَرُ الجد والتشمير في العمل. انظر معالم السنن للبستي المعروف بالخطابي (1/ 282). قال ابن العثيمين وشد مئزره أيقظهم ليصلوا وشد المئزر أي تأهب تأهبا كاملا للعمل لأن شد المئزر معناه أن الإنسان يتأهب للعمل ويتقوى عليه، وقيل معنى شد المئزر أنه يتجنب النساء عليه الصلاة والسلام لأنه يتفرغ للعبادة وكلاهما صحيح" شرح رياض الصالحين (5/ 276).

عيد الفطر

العناصر: البذل والإنفاق في هذا اليوم ومحاربة شح النفس، الحث على إخراج صدقة الفطر.

الله أكبر ...الله أكبر... الله أكبر على توفيقنا لأداء فريضة الصيام، الله أكبر على منحة الغفران لعباده الذين قاموا رمضان، محتسبين الأجر عند الله الكبير، الله أكبر ما تجمل المسلمون في هذا اليوم الجليل بجميل الثياب، الله أكبر ما نشرت رائحتهم الزكية لمسهم الطيب في هذا اليوم المشرق، الله أكبر كلما أحسنوا فيه إلى إخوانهم الفقراء وواسوا الأيتام، الله أكبر ما أدى المسلمون زكاة فطرهم، فتقبلها الله وأثابهم على صيامهم الثواب الجزيل، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله وأكبر ولله الحمد.

الحمد لله رب العالمين، استغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سميع قريب مجيب الدعاء، وأشهد أن سيدنا محمد الرسول سن لنا العيد وجعله يوم فرج وابتهاج، وأباح لنا اللهو البريء، الذي لا يغضب الرحمن، كما جعلها أيام أكل وشرب من طيبات ما رزق الله سبحانه وتعالى، و قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: في يوم العيد "لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ[1]" وقال في عيد الأضحى "أَيَّامُ التَّشْرِيقِ[2] وَشُرْبٍ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللهِ[3]".

---

[1] مسند أحمد طبعة الرسالة (43/ 115). قال العلماء عن فوائد هذا الحديث "دين الإسلام دين يسر وسهولة، واعطاء النفوس حظها من المرح واللعب في الأيام المناسبة.. وهكذا ينبغي للإنسان أن يدخل السرور على أهله حتى في هذه الأمور بشرط ألا يحصل في ذلك مفسدة."

2 أيام التشريق هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وسميت كذلك لأن الذبائح في الحج كانت تجعل في هذا الأيام تحت أشعة الشمس لتشرق عليها وتجففها حتى لا تفسد (معجم المصطلحات الفقهية-قاموس المعاني).

[3] مسند أحمد طبعة الرسالة (34/ 322).

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا. الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، ولله الحمد.

أيها المسلمون: تصدقوا في هذا اليوم، وأحسنوا إلى البائسين والمعوزين[1]، وواسوا الأيتام وأدخلوا عليهم البهجة والفرحة بهذا العيد، "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195) (سورة البقرة). " وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) (سورة آل عمران)". "وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) (سورة سبأ)".

وحاربوا شح النفس ومرنوها واقهروها على البذل والعطاء، يكتب الله لكم الفلاح في الدنيا، والسعادة في الآخرة، وسارعوا بإخراج زكاة الفطر[2]، فبدونها لا يقبل الله منك الصيام، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين. وضع ثقتك في الله الذي لا تضيع عنده القربات، وأعلم أن البخل يضيع مالك، ويهلك ثروتك، ويضيع بنيك من بعدك، والكرم والسخاء يبقي عليك مالك، ويضاعفه الله لك ولذريتك من بعدك أضعافاً مضاعفة.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَشَرَ اللَّهُ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ أَكْثَرَ لَهُمَا الْمَالَ وَالْوَلَدَ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: أَيْ فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ قَالَ: لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ فَقَالَ: أَلَمْ أُكْثِرْ لَكَ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ؟ قَالَ: بَلَى أَيْ رَبِّ قَالَ: وَكَيْفَ صَنَعْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: تَرَكْتُهُ لِوَلَدِي مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ[3] عَلَيْهِمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ تَعَلَمُ الْعِلْمَ

---

[1] قال مصطفى لطفي المنفلوطي " أيها السعداء، أحسنوا إلى الفقراء والبائسين، وامسحوا دموع الأشقياء، وارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء."

[2] زكاة الفطر فتجب بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان، أو طلوع الفجر من يوم أول شوال على من كان عنده قوت يومه. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: 332، بترقيم الشاملة آليا).

[3] مَخَافَةَ الْعَيْلَةِ أي الفقر.

لَضَحِكْتَ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتَ كَثِيرًا، أَمَا إِنَّ الَّذِي تَخَوَّفْتَ عَلَيْهِمْ قَدْ أَنْزَلْتُ بِهِمْ. وَيَقُولُ لِلْآخَرِ: أَيْ فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ أَيْ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ قَالَ لَهُ: أَلَمْ أُكْثِرْ لَكَ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ؟ قَالَ: بَلَى أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: أَنْفَقْتُ فِي طَاعَتِكَ، وَوَثِقْتُ لِوَلَدِي مِنْ بَعْدِي بِحُسْنِ طَوْلِكَ قَالَ: أَمَّا إِنَّكَ لَوْ تَعَلَمُ الْعِلْمَ لَضَحِكْتَ كَثِيرًا وَلَبَكَيْتَ قَلِيلًا، أَمَا إِنَّ الَّذِي وَثِقْتَ لَهُمْ بِهِ قَدْ أَنْزَلْتُ بِهِمْ"[1] .

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ[2]". [قال بعض الحكماء: إذا اصطنعت المعروف فاستره، وإذا اصطنع إليك فانشره لما جبلت عليه النفوس من إظهار ما أخفى وإعلان ما كتم]. وفي الحديث حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع"[3].

---

[1] رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه يوسف بن السفْر وهو ضعيف. ونص الحديث في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي؛ المعجم الأوسط للطبراني (4/ 342). قال العلماء على الإنسان أن يستحضر الذي يجمع المال تأميناً لأولاده من بعده، أن يستحضر أن الله ربهم، وأنه إن شاء أغناهم من غير أن يترك أبوهم لهم، وإن شاء أفقرهم على الرغم من الكثير الذي تركه أبوهم لهم.

[2] الأموال لابن زنجويه (2/ 760)، كنز العمال للمتقي الهندي. ورد في فيض القدير للمناوي: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والمهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) هذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله. قال علي كرم الله وجهه: لا يزهدك في المعروف كفر من كفر فقد يشكره الشاكر أضعاف جحود الكافر. قال الماوردي: فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجله حذراً من فوته ويبادر به خيفة عجزه ويعتقد أنه من فرص زمانه وغنائم إمكانه ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه فكم من واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندماً ومعول على مكنة زالت فأورثت خجلاً ولو فطن لنوائب دهره، وتحفظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ومغانمه محبورة.

[3] ورد في كشف الخفاء للعجلوني "حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء. قال ابن الغرس ضعيف، لكن ورد له شواهد".

[وعند الذهاب للمسجد أو المصلى لصلاة العيد فعليه أن يخرج من طريق ويعود من طريق آخر]، ليشهد له الطريقان يوم القيامة. [عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْم عيد خَالف الطَّرِيق][1].

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: يَوْمَانِ كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا، مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ[2]" أو كما قال.

---

[1] فتح الباري لابن حجر (1/ 353). وفي شرح رياض الصالحين للعثيمين (4/ 165) لم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك؟ فقيل: ليشهد له الطريقان يوم القيامة لأن الأرض يوم القيامة تشهد على ما عمل فيها من خير وشر كما قال الله تبارك وتعالى: يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها تشهد الأرض فتقول عمل على فلان كذا وعمل على فلان كذا فإذا ذهب من طريق ورجع من آخر شهد له الطريقان يوم القيامة بأنه أدى صلاة العيد. وقيل من أجل إظهار الشعيرة شعيرة العيد حتى تكتظ الأسواق هنا وهناك ومعلوم أن الناس لا يخرجون كلهم من طريق واحد ويرجعون من طريق واحد تجد هذا يخرج من هذا الطريق" وهذا من هناك فإذا انتشر الناس في طرق المدينة صار في ذلك رعاية لهذه الشعيرة لأن صلاة العيد من شعائر الدين.

[2] مسند المستدرك على الصحيحين للحاكم (1/ 434) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، انظر أيضا مسند الامام أحمد طبعة الرسالة (19/ 65).

الصدقة

العناصر: الصدقة تمحو الذنوب والخطايا كما يمحو الماء الوسخ عن الجلد، الصدقة على القريب أفضل.

أيها المسلمون: البذل الواسع عن إخلاص ورحمة، يغسل الذنوب، ويمسح الخطايا[1]: قال الله تعالى: {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (سورة البقرة: 271).

وقال: {إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (سورة التغابن: 17).

فإذا ارتكب المسلم ذنباً، وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه، فإن الطهور الذي يعيد إليه نقاءه، ويرد إليه ضياءه، ويلفه في ستار الغفران والرضا، أن يتجه إلى مال عزيز عليه، فيعطيه للفقراء والمساكين، زلفى يتقرب بها إلى أرحم الراحمين:

وفي الحديث "عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَعَتِهِ، سِتِّينَ عَامًا، فَأَمْطَرَتِ الْأَرْضُ، فَاخْضَرَّتْ، فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فقَالَ: لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللَّهَ، لَازْدَدْتُ خَيْرًا، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الْأَرْضِ، لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ، حَتَّى غَشِيَهَا، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ الْغَدِيرَ يَسْتَحِمُّ، فَجَاءَهُ سَائِلٌ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ، أَوِ الرَّغِيفَ، ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلْكَ الزَّنْيَةِ، فَرَجَحَتِ الزَّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ، فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ".[2]

---

[1] من عبارات الشيخ محمد الغزالي. المدقق في خطب الشيخ خليل أبو طالب وأسلوبه الدعوي يلحظ بوضوح تأثره بأستاذه الشيخ محمد الغزالي أشهر خطباء القرن العشرين، وكان الغزالي صاحب نشاط موار في مجال الدعوة وله قلم سيال خدم الإسلام دعوة وفقها وأدبا.

[2] صحيح ابن حبان – محققا (2/ 102)، باب ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ الْحَسَنَةَ الْوَاحِدَةَ قَدْ يُرْجَى بِهَا لِلْمَرْءِ مَحْوُ جِنَايَاتٍ سَلَفَتْ منه، ورد في موقع الدرر– الموسوعة الحديثية: "الراوي : أبو ذر، المحدث : ابن حبان، المصدر : صحيح ابن حبان

وقد شرع الله لنا زكاة الفطر في نهاية شهر رمضان، لتكفير الذنوب التي وقعت منا في هذا الشهر كالكذب والغيبة والنظر بشهوة، ولا يقبل الله منا الصيام ويثيبنا عليه الثواب الجزيل إلا بإخراجها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ شَهْرَ رمضانَ معلَّقٌ بينَ السَّماءِ والأرضِ لا يُرفعُ إلا بزَكاةِ الفطرِ".[1]

عن عِكْرِمَةَ عن ابنِ عَبّاسٍ قال: "فَرَضَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصّيَامِ مِنَ اللّغْوِ وَالرّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدّاهَا قَبْلَ الصّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدّاهَا بَعْدَ الصّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصّدَقَاتِ"[2]. [عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ»][3].

وحكمة إخراجها قبل صلاة العيد، هي التوسعة على الفقراء والمساكين في هذا اليوم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أغنوهم عن ذل السؤال في هذا اليوم[4]". [وفي حديث آخر: **أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بإخراجِ صدقةِ الفطرِ قبلَ الصلاةِ وقال أَغْنُوهم عن السؤالِ"]**.

الصفحة أو الرقم | 378 :خلاصة حكم المحدث : سمع هذا الخبر غالب بن وزير عن وكيع ببيت المقدس ولم يحدث به بالعراق وهذا مما تفرد به أهل فلسطين عن وكيع". وفي موقع اسلام ويب: قال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة (6875) وضعيف الترغيب والترهيب :(1435) منكر جدًا.

[1] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي القاري (4/ 1299). العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي (2/ 8). ورد في موقع الدرر- الموسوعة الحديثية: الراوي: جرير بن عبد الله |المحدث : ابن الجوزي |المصدر : العلل المتناهية، الصفحة أو الرقم، | 2/499 ، خلاصة حكم المحدث: لا يصح.

[2] عون المعبود، شرح سنن أبي داوود– للآبادي، – كتاب الزكاة – 526 باب زكاة الفطر (موقع المحدث).

[3] صحيح البخاري (2/ 130).

[4] لم نعثر على الخبر إلا في الترغيب والترهيب للمنذري (1/ 529). ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عمارة.

ومن أراد أن يخرج فُلُوس[1] زكاة للفطر، **فليخرج عن الفرد الواحد عشرة قروش [الآن لا تقل عن 15 جنيها مصريا**، وفي دولة الكويت فإن زكاة الفطر تعادل دينار]، ومن أراد أن يخرج حبوباً، فليخرج عن الفرد الواحد عند أبي حنيفة، قدح وسدس قدح من القمح، أو قدحين وثلث قدح من الذرة، وعند الشافعي قدحين اثنين فقط وعند مالك قدح واحد وثلث قدح[2].

[1] فُلُوس: عملة نقديّة عربيّة مُستعملة في الأردن والإمارات والبحرين والعراق والكويت واليمن، ويختلف سعرها بحسب البلد. معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 1739).

2 وعن اخراج زكاة الفطر نقدا ورد في دار الإفتاء المصرية " زكاةُ الفطر تكون صاعًا من غالب قُوتِ البلد كالأرز أو القمح مثلًا، والصاع الواجب في زكاة الفطر عن كل إنسان: صاعٌ بصاعِ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من المكاييل، ويساوي بالوزن 2.04 كجم تقريبًا من القمح، ومن زاد على هذا القدر الواجب جاز، ووقع هذا الزائد صدقةً عنه يُثَاب عليها إن شاء الله تعالى. كيفية إخراجها: وإخراجُ زكاة الفطر طعامًا هو الأصل المنصوص عليه في السنة النبوية المطهرة، وعليه جمهور فقهاء المذاهب المتَّبَعة، إلا أن إخراجها بالقيمة أمرٌ جائزٌ ومُجْزِئ، وبه قال فقهاء الحنفية، وجماعة من التابعين، وطائفة من أهل العلم قديمًا وحديثًا، وهو أيضًا رواية مُخَرَّجة عن الإمام أحمد، بل إن الإمام الرملي الكبير من الشافعية قد أفتى في "فتاويه" بجواز تقليد الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في إخراج بدل زكاة الفطر دراهم لمن سأله عن ذلك، وهذا هو الذي عليه الفتوى الآن؛ لأن مقصود الزكاة الإغناء، وهو يحصل بالقيمة والتي هي أقرب إلى منفعة الفقير؛ لأنه يتمكن بها من شراء ما يحتاج إليه، ويجوز إعطاء زكاة الفطر لهيئة خيرية تكون كوكيلة عن صاحب الزكاة في إخراجها إلى مستحقيها." انظر موقع دار الإفتاء المصرية:

http://dar-alifta.org.eg/AR/ViewFatwa.aspx?sec=fatwa&ID=12454

وإعطاء صدقة الفطر لقريبك الفقير، وجارك الفقير أفضل، فقد روى البخاري[1] "عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ سَوَاءً[2] قَالَتْ كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا قَالَ فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ سَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنْ الصَّدَقَةِ فَقَالَ سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ عَلَى الْبَابِ حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلَالٌ فَقُلْنَا: سَلْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وَقُلْنَا: لَا تُخْبِرْ بِنَا فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنْ هُمَا قَالَ زَيْنَبُ قَالَ أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ".

---

[1] انظر فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني المجلد الثالث، كتاب الزكاة، باب الزَّكَاةِ عَلَى الزَّوْجِ وَالْأَيْتَامِ فِي الْحَجْرِ. قال العسقلاني عن فوائد الحديث "وفي الحديث الحث على الصدقة على الأقارب، وهو محمول في الواجبة على من لا يلزم المعطي نفقته منهم، واختلف في علة المنع فقيل لأن أخذهم لها يصيرهم أغنياء فيسقط بذلك نفقتهم عن المعطي، أو لأنهم أغنياء بإنفاقه عليهم، والزكاة لا تصرف لغني، وعن الحسن وطاووس لا يعطي قرابته من الزكاة شيئا وهو رواية عن مالك. وقال ابن المنذر: أجمعوا على أن الرجل لا يعطي زوجته من الزكاة لأن نفقتها واجبة عليه فتستغني بها عن الزكاة، وأما إعطاؤها للزوج فاختلف فيه كما سبق. وفيه الحث على صلة الرحم وجواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها. وفيه عظة النساء، وترغيب ولي الأمر في أفعال الخير للرجال والنساء، والتحدث مع النساء الأجانب عند أمن الفتنة، والتخويف من المؤاخذة بالذنوب وما يتوقع بسببها من العذاب. وفيه فتيا العالم مع وجود من هو أعلم منه، وطلب الترقي في تحمل العلم. قال القرطبي: ليس إخبار بلال باسم المرأتين بعد أن استكتمتاه بإذاعة سر ولا كشف أمانة لوجهين: أحدهما أنهما لم تلزماه بذلك وإنما علم أنهما رأتا أن لا ضرورة تحوج إلى كتمانهما. ثانيهما أنه أخبر بذلك جوابا لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم لكون إجابته أوجب من التمسك بما أمرتاه به من الكتمان، وهذا كله بناء على أنه التزم لهما بذلك. ويحتمل أن تكونا سألتاه، ولا يجب إسعاف كل سائل".

[2] وقوله: (بِمِثْلِهِ سَوَاءً) أي: حدّثني إبراهيم، عن أبي عُبيدة عن عمرو بن الحارث بمثل حديث شقيق، عن عمرو بن الحارث. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (19/ 291).

وتخرج الصدقة عن نفسك وأولادك وزوجتك وخادمك، وتعطيها لأقاربك الفقراء، إلا لثلاثة لا يصح أن نعطيها لهم، لأن نفقتهم واجبة عليك وهم الأبوان والأجداد والأولاد وأولاد الأولاد، والزوجة، وما عدا ذلك فإعطاؤها للفقراء منهم ولجيرانك الفقراء.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ، وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صِلَتِهِ وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْعِيدَيْنِ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ فيه الْقُلُوبُ[2]" أو كما قال ..

[1] رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْأَسْلَمِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَيْسَ بِالْمَتْرُوكِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/ 117).

[2] قال العراقي: رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة. انظر العراقي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (2/ 895).

الحج إلى بيت الله الحرام

العناصر: فضله، المال الحلال، أثره في الحج، فضل يوم عرفه، أصل بناء البيت وزمزم والسعي بين الصفا والمروة.

أيها المسلمون : يقول الله تعالى {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} (سورة البقرة: 197). عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي جَبَانٌ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ. قَالَ: «هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لَا شَوْكَةَ فِيهِ، الْحَجُّ»[1].

"عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ"[2]، وقد قال إذا خرج الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيّبةٍ ووضع رِجلَه في الغَرْزِ[3] فنادَى لبَّيْك اللَّهمَّ لبَّيْك ناداه منادٍ من السَّماءِ: لبَّيْك وسعدَيْك زادُك حلالٌ وراحلتُك حلالٌ وحجُّك مبرورٌ غيرُ مأزورٍ، وإذا خرج بالنَّفقةِ الخبيثةِ فوضع رِجلَه في الغَرْزِ فنادَى لبَّيْك ناداه منادٍ من السَّماءِ: لا لبَّيْك ولا سعدَيْك زادُك حرامٌ ونفقتُك حرامٌ وحجُّك مأزورٌ غيرُ مبرورٍ"[4].

---

[1] المعجم الكبير للطبراني (3/ 135)، ورد في موقع الدرر السنية: الراوي : الحسن بن علي بن أبي طالب، المحدث: المنذري، المصدر. الترغيب والترهيب، خلاصة حكم المحدث : رواته ثقات.

[2] انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، المجلد الثالث، كتاب الحج، باب فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ.

[3] الغرز للرحل مثل ركاب سرج الدابة يستعين به الراكب عند ركوبه ويعتمد عليه، وهو شيء قديم معروف عندهم.

[4] ورد في مجمع الزوائد للهيثمي "رواه الطبراني في الأوسط: وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف." وورد في موقع الدرر السنية: الراوي : أبو هريرة، المحدث: المنذري، المصدر : الترغيب والترهيب، خلاصة حكم المحدث : لا يتطرق إليه احتمال التحسين.

وإذا ما وقف حجاج بيت الله الحرام بعرفات تجلى الله عليهم برحمته فغفر لهم ذنوبهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة[1]، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي، جاءوني شعثا غبرا، ضاحين[2]، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم ذنوبهم، وإن كانت عدد قطر السماء ورمل عالج[3].

[وَأخرج ابْن الْمُبَارك عَن أنس بن مَالك قَالَ] وقف النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِعَرَفَات وَقد كَادَت الشَّمْس أَن تؤوب فَقَالَ: يَا بِلَال أنصت لي النَّاس فَقَامَ بِلَال فَقَالَ: انصتوا لرَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فنصت النَّاس فَقَالَ: يَا معاشر النَّاس أَتَانِي جِبْرِيل آنِفا فأقرأني من رَبِّي السَّلَام وَقَالَ: إِن الله عز وَجل غفر لأهل عَرَفَات وَأهل الْمشعر وَضمن عَنْهُم التَّبعَات فَقَامَ عمر بن الْخطاب فَقَالَ: يَا رَسُول الله هَذَا لنا خَاصَّة قَالَ: هَذَا لكم وَلمن أَتَى من بعدكم إِلَى يَوْم الْقِيَامَة؟ فَقَالَ عمر بن الْخطاب: كثر خير الله وطاب"[4].

ويقول الله تعالى {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (سورة آل عمران: 96).

---

[1] بلاغة التصوير الفني في التعبير عن مباهاة الله بالحجيج في يوم عرفة بصورة فنية بلغت القمة في بلاغة الأسلوب النبوي الشريف، فعبر عن قرب الله عز وجل، وسرعة استجابته لهم، وقبول مناسك الحج ومشاعره، انظر علي علي صبح (1423 هـ- 2002م)، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف (ص: 125)، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث.

[2] ضاحين، بالضاد المعجمة والحاء المهملة أي بارزين للشمس غير مستترين منها، يقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكنه: إنه لضاح. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري (9/ 145).

[3] "أخرجه البزار وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي عن جابر". رمل عالج: " هو ما تراكم من الرمل، ودخَل بعضه في بعض".

[4] ورد في موقع الدرر السنية: الراوي: أنس بن مالك، المحدث : المنذري، المصدر : الترغيب والترهيب خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما".

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "عَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ إِبْرَاهِيمُ صلى الله عليه وسلم بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ[1]، وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ! أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟! فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ – صلى الله عليه وسلم –، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ[2] حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الدَّعوَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ} حَتَّى بَلَغَ {يَشْكُرُونَ} [سورة إبراهيم: 37]. وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الماءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى –أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ– فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ،

---

[1] هي هاجر. "إسماعيل عليه السلام رسول نبيّ، ابن إبراهيم عليه السلام، وأمه هاجر المصرية. كانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام عاقرًا (لا تلد) وكان ملك مصر قد وهبها فتاةً مصرية تخدمها هي هاجر، فأعطت سارة زوجها إبراهيم عليه السلام هاجر، علَّها تلد له غلامًا يأنسون به، فولدت هاجر إسماعيل عليه السلام. ثم بدأت الغيرة تدب إلى قلب سارة من جاريتها، وأخذت ترجو زوجها أن يذهب بالولد وأمه إلى حيث لا تراه عينها. وشاءت حكمة الله أن يحقق لها ذلك، فأوحى إلى خليله أن يذهب بإسماعيل وأمه، ويسكنهما بوادٍ غير ذي زرع، ممتحنًا خليله بالتفريق بينه وبين ولده، أحب المخلوقات إليه". الموسوعة العربية العالمية.

[2] " الثَّنية " الطَّرِيق فِي الْجَبَل، وَهِي هَاهُنَا مَوضِع بِمَكَّة. مشكلات موطأ مالك بن أنس (ص: 128) من تأليف عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي.

رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ[1] حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ".

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا».

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ[2]! -تُرِيدُ نَفْسَهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ[3]، - أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ. وَفِي رِوَايَةٍ: بقدر ما تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا[4]" قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[5]، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتاً للَّهِ يَبْنِيْهِ هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَهْلَهُ. وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ تَأْتِيهِ

---

[1] قَوْله: (ثمَّ سعت سعي الْإِنْسَان المجهود)، أَي: الَّذِي أَصَابَهُ الْجهد، وَهُوَ الْأَمر الْمشق. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 256)

[2] (فَقَالَت: صه)، بِفَتْح الصَّاد الْمُهْملَة وَسُكُون الْهَاء وبكسرها منونة، وَالْمعْنَى: لما سَمِعت الصَّوْت قَالَت لنَفسهَا: صه، أَي: أسكتي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 256).

[3] (فبحث بعقبه)، الْبَحْث طلب الشَّيْء فِي التُّرَاب وَكَأَنَّهُ حفر بِطرف رجله. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 257).

[4] أَي سَائِلًا جَارِيا على وَجه الأَرْض، عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 253). قَالَ ابن الْجَوْزِيّ كَانَ ظُهُورُ زَمْزَمَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ مَحْضَةً بِغَيْرِ عَمَلِ عَامِلٍ فَلَمَّا خَالَطَهَا تَحْوِيطُ هَاجَرَ دَاخَلَهَا كَسْبُ الْبَشَرِ فَقَصُرَتْ عَلَى ذَلِكَ، انظر فتح الباري لابن حجر (6/ 402).

[5] قَوْله: (لَا تخافوا الضَّيْعَة) أَي: الْهَلَاك، ويروى: لَا تخافي، وَفِي حَدِيث أبي جهم: لَا تخافي أَن ينْفد الماء، ويروى: لَا تخافي على أهل هَذَا الْوَادي ظمأً وَأَنَّهَا عين تشرب بهَا ضيفان الله، وَزَاد فِي حَدِيث أبي جهم: فَقَالَت: بشرك الله بِخَير. وَفِيه: أَن الْملك يتَكَلَّم مَعَ غير الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِم السَّلَام. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 257).

السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ[1]، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا[2]، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ. فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَرَجَعُوا، فَأَخْبَرُوهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الماءِ. فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي الماءِ، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَلْفِي ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الإِنْسَ، فَنَزَلُوا، وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ، وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ، يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا -وَفِي روايةٍ: يصيدُ لنا- ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ! فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ. قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الحَقِي بِأَهْلِكِ. فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ. فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا. قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ. قَالَ: مَا

---

[1] حي من اليمن وكانت جرهم يومئذ قريبا من مكة. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (20/ 55).

[2] فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا بِالْمُهْمَلَةِ وَالْفَاءِ هُوَ الَّذِي يَحُومُ عَلَى الْمَاءِ وَيَتَرَدَّدُ وَلَا يَمْضِي عَنْهُ. فتح الباري لابن حجر (6/ 403).

شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الماءُ. قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالماءِ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ". قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ[1].

وفي رواية: فجاء فقال: أين إسماعيل؟ فقالت امرأته: ذهب يصيد. فقالت امرأته: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ قال: وما طعامكم وما شرابكم؟ قالت: طعامنا اللحم وشرابنا الماء. قال: اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم. قال: فقال أبو القاسم – صلى الله عليه وسلم – وَسَلَّمَ: "بَرَكَةُ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيْمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". قَالَ: فَإِذَا جَاْءَ زَوْجُكِ، فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيْهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَما جَاْءَ إِسْمَاعِيْلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ. فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ انَّا بِخَيْرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بَشْيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَم، يَقرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ. ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاْءَ اللَّهُ، ثُم جَاْءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيْلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيْبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الَوالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوالِدِ. قَالَ: يَا إِسْمَاعِيْلُ! إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ. قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَتُعِينُنِي. قَالَ: وَأُعِيْنُكَ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِي بَيتًا هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيْلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيْمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاْءَ بِهَذَا الْحَجَرَ، فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيْلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُوْلَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]." أخرَجَهُ البُخارِيُّ.

---

[1] قَوْله: (فهما لَا يخلوان عَلَيْهِمَا) أَي: فاللحم وَالْمَاء لَا يعْتَمد عَلَيْهِمَا أحد بِغَيْر مَكَّة إِلاَّ لم يوافقاه، وَالْغَرَض: أَن المداومة على اللَّحْم وَالْمَاء لَا يُوَافق الأمزجة وينحرف المزاج عَنْهُمَا إِلاَّ فِي مَكَّة فَإِنَّهُمَا يوافقانه، وَهَذَا من جملَة بركاتها وَأثر دُعَاء إِبْرَاهِيم، عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (15/ 258).

[قال تعالى] "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) " (سورة آل عمران[1]).

[وقال تعالى "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)" سورة الحج].

ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وشهود المواقف وقضاء المناسك، أو المغفرة لذنوبهم أو التجارة في الدنيا وفي الآخرة.

قال إبراهيم: كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم [لا يصل إليهم] فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على الحجر أو الصفا أو أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أن يحج إلى يوم القيامة[2].

يا أتباع النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه: خلق الله الإنسان لعبادته وأسكنه أرضه لطاعته والامتثال لأمره مصداقاً لقوله عز وجل "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

---

[1] قال المفسرون "في هذا البيت دلالات ظاهرات أنه من بناء إبراهيم، وأن الله عظَّمه وشرَّفه، منها: مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الحَجَر الذي كان يقف عليه حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل، ومن دخل هذا البيت أَمِنَ على نفسه فلا يناله أحد بسوء. وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج. ومن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله، وعن سائر خَلْقه."

[2] انظر شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (3/ 228)، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (11/ 104).

لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)" (سورة الذاريات). وتدرج الباري في تربيته بالعبادات ففرض عليه الصلاة وفيها يتجه في كل صلاة إلى البيت الحرام "وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150) كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152) (سورة البقرة).

وذلك ليترقى المؤمن في عبادته ويتسامى في إخلاصه ويرتفع بطاعته حتى يكون مع الملائكة ويتوحد هو والملائكة مع ملكوت الله كله حيث يسجد الجميع في خشوع وابتهال وضراعة، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} (الإسراء:44). "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)" (سورة الحج).[1] وقد بين الباري جل جلاله سبب أمره لإبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج فقال سبحانه "لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ (29)" (سورة الحج).

[1] ورد في التفسير الميسر (1/ 334) ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه: يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب؟ ولله يسجد طاعة واختيارًا كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

الرحمة

العناصر: طبيعة الإنسان الرحمة، الرحمة من صفات الباري جل وعلا، محمد صلى الله عليه وسلم رحمة من عند الله.

الرحمة كمال في طبيعة الإنسان بها يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسف لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى، الرحمة كمال في طبيعة الإنسان، فإذا سلبت منه تبلد حسه، وانتقل من عالم الإنسانية الرفيعة إلى عالم الحيوانية الخسيسة، بل إن الحيوانات تعطف على ذراريها وفصيلتها. الرحمة من صفات المولى جل وعلا.[1]

فإن رحمته شملت جميع المخلوقات ولذلك كان من دعاء الملائكة "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) (سورة غافر)".

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا[2]." وفي الحديث القدسي فيما يرويه النبي عن ربه "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ –

---

[1] ورد في كتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي "الرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى. هي كمال في الطبيعة لأن تبلد الحس يهوى بالإنسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه، وهو العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة، بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة إلى منزلة البهائم، بل إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز. والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه! فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت. فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة".

2 صحيح البخاري (8/ 8)، قال العسقلاني في فتح الباري " وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده. وفيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقربها النبي صلى الله عليه وسلم للسامعين بحال

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالَ: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي." (رواه مسلم). وبذلك كان سبحانه أرحم الرحماء، قال تعالى "وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ " (سورة المؤمنون: 118).

وما ترى في قلوب الخلائق من تعاطف وتراحم فهو أثر من آثار رحمة الله سبحانه وتعالى في أصفيائه، أما غلاظها الجبارين المستكبرين، فهم في الدرك الأسفل من النار، ولذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب[1]".

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد جمود العين واستغلاق القلب من الشقاء[2].

ولقد أراد الله أن يمن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، فأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم، وأودع في قلبه من العلم والحلم، والرفق واللين، ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة، ولذا قال الله تعالى "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**" (سورة آل عمران). وقد لازمته شفقته ورحمته على المشركين في غزوة أحد، وقد آذوه حتى سال الدم من خده الشريف وكسرت سنه، فقيل له في تلك الحالة العصيبة، ادع يا رسول الله على

المرأة المذكورة." باختصار. "فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى هي بحسب هداه، فكلَّما كان نصيبه من الهدى أتمّ كان حظّه من الرحمة أوفر". إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن الجوزية، طبعة عالم الفوائد (2/ 912): "وقد وسع ربّنا كلّ شيء رحمة وعلما فوسعت رحمته كلّ شيء، وأحاط بكلّ شيء علما، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه". نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (6/ 2064).

[1] ذكر أهل العلم الحديث بهذه الصيغة "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي " (تحفة الأحوذي للمباركفوري).

[2] ورد في مجمع الزوائد للهيثمي " عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربعة من الشقاء :جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا." رواه البزار وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف."

المشركين، فغلبته شفقته ورحمته عليهم، فكان دعاؤه "اللهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[1]".

إن القسوة في قلوب العباد، تجرئهم على الفسوق والعصيان والفساد، فلا عجب إذا حذر الإسلام منها؛ قال تعالى "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" (الحديد: 16). والقلب القاسي يجر صاحبه إلى النار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُنزعُ الرَّحمةُ إلاَّ من شقيٍّ [رواه الترمذي][2]" ويقول تعالى "**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106)" (سورة هود)**".

الرحمة للجميع:

الرحمة منك أيها المسلم يجب أن تكون للناس أجمعين. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّوا عَلَيْهِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ» [3].

---

[1] شعب الإيمان (3/ 45)، الأحاديث المختارة = المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما للمقدسي (10/ 14)، وفي مسند الإمام أحمد " عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد وهو يسلت الدماء عن وجهه كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله عز وجل فأنزل الله عز وجل {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} [آل عمران: 128]. ورد في صحيح البخاري عن "النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ".

[2] قال العلماء: "لأن الرحمة في الخلق رقة القلب ورقته علامة الإيمان ومن لا رقة له لا إيمان له ومن لا إيمان له شقي فمن لا يرزق الرقة شقي. وحقيقة الرحمة إرادة المنفعة وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام."

[3] رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (4/ 185) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وفي رواية الطبراني "رَحْمَةُ النَّاسِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ".

ورحمة الله لا تنال إنسانا إلا إذا رحم خلق الله ومن لا يرحم من في الأرض لا يرحمه الله، ومن لا يغفر للناس أخطاءهم، لا يغفر له الله "وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو قسوة قلبه فقال له الرسول "أَتُحِبُّ أَن يَلين قَلْبُكَ، وتُدرِكَ حَاجَتَكَ؟ ارْحَمْ الْيَتِيم، وامسح رَأسهُ، وأطعمهُ من طَعَامكَ، يلنْ قَلْبُكَ، وتُدركْ حَاجَتَكَ".[1] [وفي رواية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ: " امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ"][2].

إذا كانت الرحمة والشفقة على الحيوانات يكفر الله بها من العباد الكبائر من الذنوب، فما بالكم مع الإنسان، وهو أولى بالشفقة والرحمة من الحيوان، وروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن امرأة زانية رأت كلبا في يوم حار، يطوف حول بئر، خرج لسانه من شدة العطش، فأشفقت على هذا الكلب ، فسقته حتى روي ، فغفر الله لها "[وورد في الصحيحين: **"بَيْنَمَا كَلْبٌ يَطِيْفُ بِرَكِيَّةٍ، قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيْلَ، فَنَزَعَتْ مُوْقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ[3]".**] فارحموا أيها الناس من في الأرض يرحمكم من في السماء.

---

[1]. (أَتحبّ) اسْتِفْهَام أَي أتودّ (أَن يلين قَلْبك) أَي يترطب ويسهل (وتدرك حَاجَتك) أَي تظفر بمطلوبك (ارْحَمْ الْيَتِيم) الَّذِي مَاتَ أَبوهُ فَانْفَرد عَنهُ وَذَلِكَ بِأَن تعطف عَلَيْهِ وتحنو حنوّا يَقْتَضِي التفضل وَالْإِحْسَان (وامسح رَأسه) تلطفا وإيناسا أَو بالدهن (وأطعمه من طَعَامك) أَي مِمَّا تملكه من الطَّعَام (يلن قَلْبك وتدرك حَاجَتك) أَي فَإِنَّك إِن أَحْسَنت إِلَيْهِ وَفعلت بِهِ مَا ذكر يحصل لَك لين الْقلب وَالظفر بالبغية. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (1/ 22). الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي: رواه الطبراني وفي إسناده من لم يسم، وبقية مدلس؛ أخرجه الطَّبَرَانِيّ عَن أبي الدَّرْدَاء رَضِي الله عَنهُ، انظر: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف (1/ 17)؛ صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، ج1، ص 78، رقم الحديث 80، المكتب الإسلامي، 1406هـ-1986م. ط2.

[2] مسند الإمام أحمد طبعة الرسالة (14/ 558).

[3] (بغي) زانية. (موقها) ما يلبس فوق الخف. (فغفر لها) ما سبق منها من الزنا. (به) بسبب سقيها له. مصطفى البغا، صحيح البخاري (4/ 173).

الوفاء

العناصر: دوام النعمة على الإنسان بالوفاء لمانحها، وزوالها بالتنكر لمسديها.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (سورة البقرة: 40).

من الوفاء[1] المحمود أن يذكر الرجل ماضيه الذاهب، لينتفع به في حاضره ومستقبله، ومن كان معسرا فأغناه الله، أو مريضا فشفاه الله، فليس يسوغ له أن يفصل بين أمسه ويومه بسور غليظ ثم يزعم أنه ما كان قط فقيرا ولا مريضا، ويبني على غروره بحاضره مسلكا، كله فظاظة وجمود. فهذا نوع من الغدر ينتهي بصاحبه إلى النفاق: وربما انطرد من رحمة الله فلم تتسع بعدئذ له. مما يدل على شؤم الغدر وعقوق النعمة، وزوالها من يد صاحبها[2].

---

[1] الوفاء ضدّ الغدر. الوفاء بالعهود قيمة إنسانيّة وأخلاقيّة عظمى لأنّه يرسي دعائم الثّقة في الأفراد ويؤكّد أواصر التّعاون في المجتمع. الوفاء: أخو الصّدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أنّ الوفاء: صدق اللّسان والفعل معا، والغدر كذب بهما، لأنّ فيه مع الكذب نقض للعهد. والوفاء: يختصّ بالإنسان، فمن فقد فيه (الوفاء) فقد انسلخ من الإنسانيّة، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان وصيّره قواما لأمور النّاس، فالنّاس مضطرّون إلى التّعاون، ولا يتمّ تعاونهم إلّا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التّعايش. انظر صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (8/ 3639)، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

[2] العبارة لمحمد الغزالي في كتابه خلق المسلم. وهذا الاقتباس الجميل يدل على دقة الشيخ خليل في استخلاص العبارات البليغة والحكم الرفيعة ذات المعاني الوافرة من أجل التفكر بها وشكر النعمة من جهة، والتذكير بالعبارات والحكايات المنفرة من عقوق النعمة والتي تركز على التحذير من شؤم التنكر والغفلة والتكبر من جهة أخرى. إن شكر المنعم سبحانه بوابة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقَولُ:

"إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبرَصَ، وَأقرَعَ، وَأعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكَاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنَاً حَسَنَاً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ -أَوْ قَالَ: البَقرُ شَكَّ الرَّاوِي-، فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارِكَ اللَّهُ لَكَ فِيْهَا. فَأتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأعْطِيَ شَعْرَاً حَسَنَاً. قَالَ: فَأيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ. فَأعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيْهَا. فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِليَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: أيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأعْطِيَ شَاْةٍ وَالِدَاً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ، وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحسَنَ، وَالمالَ، بَعِيْراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ:

الاستمتاع بالنعمة. ومن الكتب الجميلة التي تستعرض بذكاء بارع أهمية ممارسة الشكر عمليا في حياتنا كتاب مُعيد النِّعَم وَمُبيد النّقَم لعبدالوهاب السبكي.

الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيْرَاً فَأعطَاكَ اللَّهُ؟!، فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرَاً عَنْ كَابِرٍ!! فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَال لَهُ مِثْلَ مَا قَال لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبَاً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأتى الأَعْمَى فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاْةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّه عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيْتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ[1]".

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

---

[1] ويُستفاد من "حَدِيثُ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى" ما يلي: "وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ ذِكْرِ مَا اتَّفَقَ لِمَنْ مَضَى لِيَتَّعِظَ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غِيبَةً فِيهِمْ وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي تَرْكِ تَسْمِيَتِهِمْ وَلَمْ يُفْصِحْ بِمَا اتَّفَقَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِمْ وَقَعَ كَمَا قَالَ الْمَلَكُ وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنْ كُفْرَانِ النِّعَمِ وَالتَّرْغِيبُ فِي شُكْرِهَا وَالِاعْتِرَافُ بِهَا وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَفِيهِ فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالضُّعَفَاءِ وَإِكْرَامُهُمْ وَتَبْلِيغُهُمْ مَآرِبَهُمْ وَفِيهِ الزَّجْرُ عَنِ الْبُخْلِ لِأَنَّهُ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى الْكَذِبِ وَعَلَى جَحْدِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى" فتح الباري لابن حجر (6/ 503).

[2] صحيح القصص النبوي لأبي إسحاق الحويني (ص: 15).

الأمانة

العناصر: الأمانة تثقل كاهل الوجود كله فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها، حواس الإنسان أمانة، الإفضاء إلى الزوجة أمانة، والودائع أمانة.

أيها المسلمون: الأمانة فضيلة ضخمة، لا يستطيع حملها الرجال المهازيل، وقد ضرب الله المثل لضخامتها، وأنها تثقل كاهل الوجود كله، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها، أو يفرط في حقها[1]. [الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام... بالأمانة يُحفظ الدّين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشّهادة والقضاء والكتابة... مجتمع تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة][2].

قال الله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)"، (سورة الأحزاب).

الظلم والجهل، آفتان عرضتا للفطر الأولى، وأبلي الإنسان بجهادها، فلن يخلص له إيمان، إلا إذا نقاه من الظلم، قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)} [الأنعام: 82] ". ولن تخلص له تقوى إلا إذا نقاها من الجهالة: قال تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)} [فاطر: 28].

ولذلك بعد أن تقرأ الآية التي حملت الإنسان الأمانة، تجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل، خانوا ونافقوا أو أشركوا، فحق عليهم العقاب، ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة، قال تعالى "لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73) " (سورة الأحزاب).

---

[1] من كلام الشيخ محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم. هذه الخطبة مستخلصة من ذلك المرجع مع تصرف من الشيخ خليل في ترتيب الأفكار وأحيانا في الصياغات.. على ضوء معاينتنا لأعمال الشيخ خليل الكتابية نقرر ونجزم أن كتابات محمد الغزالي تمثل الرافد الفكري الأساسي لخطب الشيخ خليل أبو طالب.

[2] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (3/ 524).

ومن معاني الأمانة أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك، وإلى المواهب التي خصك الله بها ، وإلى ما حُبيت من أموال وأولاد، فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك، فيجب أن تسخرها في قرباته، وأن تستخدمها في مرضاته، فإن امتحنت بنقص شيء منها، فلا يستخفنك الجزع، متوهما أن ملكك المحض قد سلب منك، فالله أولى بك منك، وأولى بما أفاد الله عليك، وله ما أخذ وله ما أعطى، وإن امتحنت ببقائها، فما ينبغي أن تجبن بها عن جهاد، أو تفتن بها عن طاعة، أو تستقوي بها على معصية[1]. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال: 27).

ما يدور بين الزوج وزوجته، من شئون الاتصال الجنسي، أمانة يجب أن تصان عن الإفشاء، فلا يجلس الرجل في الصباح في وسط الرجال يقول فعلت الليلة مع زوجتي كذا وكذا، ولا تجلس المرأة مع النساء تقول فعلت مع زوجي الليلة كذا وكذا، فهذه وقاحة حرمها الإسلام، فعن أسماء بنت يزيد: أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساء قعود عنده، فقال: لعلَّ رجُلًا يقولُ ما فَعلَ بأهلِه، ولعلَّ امرأةً تُخبِرُ بما فعَلَت مع زَوجِها!؟ فأرَمَّ القَومُ[2]، فقُلتُ: إي واللهِ يا رَسولَ الله إنهم ليَفعَلونَ، وإنَهنَّ ليَفعلْنَ. قالَ: فلا تَفعَلوا، فإنَّما مَثلُ ذلكَ شَيطانٌ لقيَ شَيطانةً، فغَشِيَها والنَّاسُ يَنظُرونَ".[3]

قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: إِنّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرّجُلِ يِفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي[4] إِلَيْهِ ثُمّ يَنْشُرُ سِرّهَا" (رواه أبو داود). أو كما قال.

---

[1] من كلام محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم تحت عنوان الأمانة ص 50.

[2] قوله: "فأَرَمَّ القومُ"، أي: سكتوا ولم يجيبوا.

[3] مسند أحمد ط الرسالة (20/ 300)؛ الراوي : أسماء بنت يزيد | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترغيب، الصفحة أو الرقم | 2022 :خلاصة حكم المحدث : صحيح لغيره (موقع الدرر- الموسوعة الحديثية).

[4] قال المناوي في فيض القدير "أي يصل إليها استمتاعاً فهو كناية عن الجماع (وتفضي إليه) أي تستمتع به وأصله من الفضاء. قال الراغب: الفضاء المكان الواسع ومنه أفضى بيده وأفضى إلى امرأته قال تعالى "وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ

الرشوة (١)

الهدية التي تقدم للموظف بحكم وظيفته

العناصر: حكمها في الإسلام، مصادرة الرسول صلى الله عليه وسلم لها وسار على هديه كذلك عمر رضي الله عنه.

أيها المسلمون: "عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عنه، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أنَّه قال: إنَّ الله تعالى طيِّبٌ لا يَقبَلُ إلَّا طيِّبًا، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بما أمَرَ به المرسلين، فقال سبحانه "**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**" (المؤمنون: 51)، وقال تعالى "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**" (البقرة: 172)، ثم ذَكَر الرجلَ يُطيلُ السَّفر أشعثَ[1] أغبرَ، يمدُّ يديه إلى السَّماء: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ، ومَشرَبُه حرامٌ، ومَلبَسُه حرامٌ، وغُذِيَ بالحرامِ؛ فأنَّى يُستجابُ لذلك" (رواه مسلم)[2]. يعني لا يستجاب لدعائه، فشرط إجابة الدعاء أن يكون ماله من حلال لم يلوث بالحرام.

وإن من الأموال المحرمة في الإسلام، الهدايا[3] التي تقدم للشخص بحكم وظيفته أو جاهه أو منزلته، فمن أراد أن يحيا شريفاً نزيها، محافظاً على دينه ووطنه وعرضه، فلا يقبل أمثال تلك الهدايا وليردها على أصحابها. وأكبر دليل على ذلك ما ورد عن

وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21)" (سورة النساء). إن من أمراض النفس المذمومة شرعا التزام قول الحق في كل موطن. من أكبر أمراض النفس التزام قول الحق في كل موطن ودواؤه معرفة المواطن التي ينبغي أن يصرفه فيها فإن حكاية الرجل ما يفعله بأهله في فراشه حق وهو من العظائم، والغيبة والنميمة حق وقد عدها بعض الأئمة من الكبائر، والنصيحة في الملأ حق وفضيحة، فالعارف يتأمل كيف يصرف الأحكام الشرعية ولا يجمد على الظواهر" (باختصار).

[1] شعِث الشَّعرُ: تغبّر وتلبَّد لقلّة تعهّده بالدّهن ورعايته بالتمشيط والتنظيف. معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1204).

[2] الموسوعة الفقهية (موقع الدرر).

[3] قال ابن الجوزية في كتابه الروح (ص: 240) "فصل وَالْفرق بَين الْهَدِيَّة والرشوة وَإِن اشتبها فِي الصُّورَة الْقَصْد فَإِن الراشي قَصده بالرشوة التَّوَصُّل إِلَى إبِطَال حق أَو تَحْقِيق بَاطِل فَهَذَا الراشي الملعون على لِسَان رَسُول الله فَإِن رشا لدفع الظُّلم عَن نَفسه الْحتصَّ المرتشي وَحده باللعنة، وَأما المهدى فقصده استجلاب الْمَوَدَّة والمعرفة وَالْإِحْسَان فَإِن قصد الْمُكَافَأَة فَهُوَ معاوض وَإِن قصد الرِّبْح فَهُوَ مستكثر".

"الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. قَالَ [الرسول صلى الله عليه وسلم] فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ" [رواه البخاري]. يريد الرسول أن الهدية لم تقدم لهذا الرجل، إلا لأنه عامل من عمال الدولة، فلو لم يكن عاملا، ما قدمته إليه، فهي إذا حق الدولة. وفي الحديث الشريف أيضا "منِ استعملناهُ على عملٍ فرزقناهُ رِزقًا فما أخذَ بعدَ ذلكَ فهوَ غُلولٌ[1]".

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولي الرجل، فإذا ما اغتنى بالولاية غنى غير معقول، صادر ثروته كلها وأخذ منه نصفها الزائد، وضمه إلى بيت المال[2]، ثم عزله وعاقبه.

ولم يقبل من بعض عماله وعوامه، أنهم ربحوا من التجارة، وقال لهم: "إنما بعثناكم ولاة، ولم نبعثكم تجاراً "[3] وعلم عمر أن عامله على مصر، عمرو بن العاص، كثرت

---

[1] الراوي : بريدة بن الحصيب الأسلمي | المحدث : ابن حجر العسقلاني | المصدر : تخريج مشكاة المصابيح، الصفحة أو الرقم | 3/483 :خلاصة حكم المحدث [حسن كما قال في المقدمة]. موقع الدرر. وعن معنى كلمة غلول ورد في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير، هو من الإغْلال: الخيانةِ في كل شيء."

[2] يعد بيت المال خزينة الدولة الإسلامية التي يحفظ بها مختلف الموارد المالية للدولة، وقد عرف في الدولة الإسلامية ديوان أطلق عليه اسم ديوان بيت المال. كانت مهمته النظر في موارد الدولة ومصارفها. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: 99، بترقيم الشاملة آليا)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

[3] انظر عباس محمود العقاد (2014م): عبقرية عمر، الفصل السادس، عمر والدولة الإسلامية. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. ينادي الفكر السياسي المعاصر بمنع أهل النفوذ السياسي من الخوض بالتجارة منعا لتضارب المصالح وخوفا من الوقوع في الشبهات. يجب على القادة الاكتفاء بما يتم تخصيصه لهم من الدولة والحذر من استخدام نفوذهم لتحقيق منافع ذاتية. ورد في تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: 63): "لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد [جمع كساء من الصوف]، وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر: أين تريد؟ قال: إلى السوق، قال: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قال: انطلق، يفرض لك أبو عبيدة، فانطلقا إلى أبي عبيدة، فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين، ليس بأفضلهم ولا أوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقت شيئًا رددته وأخذت غيره، ففرضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه في الرأس والبطن".

أمواله ومتاعه وعبيده وخيله، ولم تكن له هذه الثروة حين ولاه مصر، فسأله في ذلك، فقال: هذه ثروتي من التجارة بمصر، فلم يقتنع عمر بذلك وقاسمه ماله، وكذلك فعل مع أبي هريرة عامله على البحرين، ومع عمال آخرين.

وسمع عمر بعودة أبي سفيان من عند ولده معاوية، والي الشام فوقع في نفسه أن معاوية قد زوده بمال وجاء أبو سفيان ليسلم على عمر، فقال له، أعطنا يا أبا سفيان فقال: ما أصبنا شيئا فنعطيك، فلجأ عمر إلى حيلة بارعة[1] في الكشف عن الحقيقة، ذلك أنه مد يده إلى خاتم في يد أبي سفيان، فأخذه وبعثه إلى زوجته هند وأمر الرجل أن يقول لها باسم زوجها أبي سفيان، بعد أن يعطيها الخاتم، ابعثي الخرجين اللذين جئت بهما، فبعثتهما، فما لبث الرجل أن عاد بخرجين، فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحها عمر في بيت مال المسلمين وبيت المال[2] هو ما يسمى الآن في عرفنا بخزينة الدولة، عباد الله أقول قولي هذا و استغفر الله لي ولكم.

---

[1] احتال الشَّخصُ: طلب الشّيءَ بالحِيَل؛ أي بوسائل بارعة ابتغاء الوصول إلى المقصود، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 586).

[2] لم نجد للقصة أصلا في المراجع المشهورة المعنية بتحقيق أسانيد ومتون الروايات ولكن القصة موجودة في كتب الأدب من مثل كتاب العقد الفريد لابن عبدربه (1/ 47)؛ ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحموي (1/ 123). علق العقاد في عبقرية عمر على القصة السابقة قائلا: كانت سنته إذا ثبتت على الوالي شبهة التصرف في بيت مال المسلمين أن يصادر المال الذي ظفر به، أو يقاسم الوالي فيما أرى على كسبه المعقول، فيترك له النصف ويضم النصف إلى بيت المال، وهذا عدا ما يجزيه به من عزل أو عقاب . أما حساب الشكايات من المظالم، فكانت سُنَّته فيه التحقيق، ثم الجزاء على شرعة المساواة بين أكبر الولاة وأصغر الرعية، بغير تفرقة بين السيئة وجزائها، فمن ضَرَب ضُرِب، ومن غصب رد ما غصب، ومن اعتدى قوبل بمثل اعتدائه، وعليه زيادة التأديب . وقد يأخذ الوالي أحيانًا بوزر ولده أو ذوي قرابته إذا وقع في نفسه أنهم يستطيلون على الناس بسلطان الولاية، ولا ينهاهم الوالي المسئول عنها.

الرشوة (٢)

العناصر: إفسادها للأخلاق والأعمال، وهدم الوطن

أيها المسلمون: تملك حب المال قلوب الطامعين فبسطوا أيدهم للرشوة، ومدوها للسحت الحرام، يستحلونه ويأكلونه، والرشوة تفسد الأخلاق، وتفتك بالآداب، وتهدم العفة والنزاهة، وتميت الضمائر والذمم، وهي عنوان على طمع المرتشي وخسته ودناءته، ودليل على حمق الراشي وعدم كفاءته. وإذا فقد إنسان حياءه وأمانته، وأضاع ذمته، وأيقظ مطامعه وشهوته، كان شرا على نفسه وأهله والناس أجمعين[1].

ما دخلت الرشوة في شيء وإلا جعلت نوره ظلاما وطريقه قاتما، الرشوة في الوظائف تقدم الجهلاء وتؤخر الأكفاء، وترفع الخامل وتخفض المجُد العامل، فتموت الهمم، وينتشر الخمول والعجز والكسل، اعتمادا على رشوة تعطى ومبلغ يدفع. الرشوة في الحروب تسبب الهزائم المنكرة والمذابح الفظيعة، وتكون سببا في ضياع الجيوش واستعباد الأمم وإذلالها، لكل أمة حراس يحرسون الحدود، ويمنعون المواد المخدرة، والسموم الفتاكة، فإذا أخذ هؤلاء الرشوة تعرضت الأمة للأخطاء والمهالك وتتسرب [المنكرات] السامة في داخل البلاد، فتفتك بالنفوس والعقول والأموال، وتمتلئ السجون بالمجرمين، والمستشفيات بالمرضى، وتشقى العائلات ويخيم عليها البؤس والفقر والشقاء، وهكذا الرشوة دائماً، داء فتاك للأخلاق، مفسد للأعمال، هادم للوطن، ما انتشرت في أمة من الأمم إلا نزلت، واضطربت فيها الأمور والأحوال.

الرشوة حرام أخذها، حرام دفعها، حرام الوساطة بها؛ [مَا حُرِّمَ أَخْذُهُ حُرِّمَ إِعْطَاؤُهُ][2]. والله تعالى يقول {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

---

[1] من كلام الشيخ محمود علي أحمد (خطيب مسجد الرفاعي بالقلعة) تحت عنوان "الرشوة وإفسادها للأخلاق والأعمال". ikhwanwiki.com

[2] الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: 150)، وورد في القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة لمحمد الزحيلي (1/ 398) "مَا حُرِّمَ أَخْذُهُ حُرِّمَ إِعْطَاؤُهُ"؛ "ما حرم على الآخذ أخذه حرم على المعطي إعطاؤه". التوضيح: إن الشيء المحرم الذي لا يجوز لأحد أن يأخذه ويستفيد منه يحرم عليه أيضاً أن يقدمه لغيره ويعطيه إياه، سواء أكان على سبيل المنحة

لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 188). عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي" (رواه ابن ماجه). وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراشي والمرتشي في النار" [ورد في مجمع الزوائد للهيثمي: رواه الطبراني في الصغير ورجاله ثقات]. "وقال "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به"[1]. وفي الأثر "لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا عهد له"[2].

ابتداء، أم على سبيل المقابلة، كما حرم الأخذ والإعطاء حرم الأمر بالأخذ، إذ الحرام لا يجوز فعله، ولا الأمر بفعله، وذلك لأن الإعطاء تشجيع على أخذ المحرم، فيكون المعطي شريك الآخذ في الإثم، ولأن إعطاءه الغير عندئذ يكون من قبيل الدعوة إلى المحرم، أو الإعانة والتشجيع عليه، ومن المقرر شرعاً أنه كما لا يجوز فعل الحرام لا يجوز الإعانة والتشجيع عليه. ويتفرع على هذه القاعدة قواعد أخرى "ما حرم فعله حرم طلبه"، "ما حرم استعماله حرم اتخاذه". التطبيقات: 1 – كما يحرم أخذ الربا يحرم إعطاؤه. 2– وكذلك الرشوة، ولا تملك بالقبض، ويجب ردُّها ولو كانت بغير طلبا المرتشي. بتصرف. وفي مُوْسُوعَة القَواعِد الفِقْهِيَّة (9/ 116، 117) "هذه القواعد تمثّل جانباً مهمّاً من جوانب السّياسة الشّرعيّة، فقد حرَّم الشّرع على المسلم أخذ أشياء كالرّشوة والرّبا، وحرمة هذه الأشياء وأمثالها – وإن كانت نصّاً في الأخذ – فهي أيضاً محرّمة إعطاءً، فكما لا يجوز للمسلم أن يأخذ رشوة أو ربا فهو محرّم عليه أيضاً أن يعطي الرّشوة أو الرّبا لغيره، فيكون ذلك سدّاً لأبواب الرّشوة والرّبا وأشباههما أخذاً وإعطاءً، لأنّ الإعطاء وإن كان من جانب المعطي فهو أخذ من جانب الآخذ، وكلاهما محرّم".

[1] ورد في تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي المجلد الثاني، كتاب آداب الأكل: الباب الأول ما يلي: حديث" كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به" هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ "سحت" وهو عند الترمذي وحسنه بلفظ "لا يربوا لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به ."

[2] وعن هشام أنَّ عمر قال: (لا تغرُّني صلاة امرئ ولا صومه، مَن شاء صام، ومَن شاء صلى، لا دين لمن لا أمانة له). رواه الخرائطي في (مكارم الأخلاق). انظر موقع الدرر السنية.

الكذب

العناصر: خلف الوعد، إضراره بالناس، منزلة الصدق في الإسلام.

يا أيها المسلمون: يقول الله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) " (سورة الأحزاب). الصدق في الأقوال، يؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال، والصلاح في الأحوال، فإن حرص الإنسان على الالتزام الحق فيما يتكلم به، يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره[1]. "وعلى أرباب الحرف والصناعات، أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعي الجانب، يقفون عنده، ويستمسكون به فإنه لمن المؤسف أن تكون الوعود المخلفة، والحدود المائعة، عادة مأثورة عن كثير من المسلمين، مع أن دينهم جعل الوعود الكاذبة إمارة النفاق"[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقدس الكلمة التي يقول، ويحترم الكلمة التي يسمع، وكان ذلك علامة الرجولة الكاملة فيه، حتى قبل أن يرسل إلى الناس، فعن عبد الله بن أبي الْحَمْسَاءِ قال: "بايعتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ببيعٍ قبلَ أن يُبعَثَ وبقيت لَهُ بقيَّةٌ فوعدتُهُ أن آتيَهُ بِها في مَكانِهِ، فنسيتُ، ثمَّ ذَكَرتُ بعدَ ثلاثٍ، فَجِئْتُ فإذا هوَ في مَكانِهِ، فقالَ: يا فتَى، لقد شَقَقتَ عليَّ، أَنا ههنا منذُ ثلاثٍ أنتظرُكَ[3]". كان عليه السلام يحضر في الموعد المضروب بينهما .

---

[1] قال الشيخ محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم " والصدق في الأقوال يتأدى بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال، فإن حرص الإنسان على التزام الحق فيما ينبس به، يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره". وهكذا يتصرف الشيخ خليل بعبارات الغزالي تقديما وتأخيرا وتلخيصا وتهذيبا وتنقيحا. الخطبة مقتبسة من كتاب خلق المسلم.

[2] من كلام الشيخ محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم.

[3] الراوي : عبدالله بن أبي الحمساء | المحدث : الألباني | المصدر : ضعيف أبي داود، الصفحة أو الرقم | 4996 :خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف. موقع الدرر، الموسوعة الحديثية. قال العلماء: (أَنَا هَهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ): وَكَانَ انْتِظَارُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِصِدْقِ وَعْدِهِ لَا لِقَبْضِ ثَمَنِهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَعْدَ أَمْرٌ مَأْمُورٌ الْوَفَاءُ بِهِ فِي جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، حَافَظَ عَلَيْهِ الرُّسُلُ الْمُتَقَدِّمُونَ.

وحدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم وعد جابر بن عبد الله بعطاء من مال البحرين، ثم عاجلته الوفاة قبل الوفاء، "فما قَدِمَ مالُ من البحرينِ حتى قُبضَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فلما قَدِمَ مالٌ من البحرينِ، قال أبو بكرٍ: مَن كان له على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دَيْنٌ أو عِدَةٌ ، فليأتِنا، قال جابرٌ: فأتيتُ أبا بكرٍ، فقلتُ: إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وَعَدَني إذا قَدِمَ مالٌ من البحرينِ أعطيتُك هكَذا وهكذا وهكذا، قال: فَحَثَى لِيَ أبو بكرٍ حَثْيَةً، ثم قال لي: عُدَّها، فإذا هي خمسمائةٍ ، قال: خذْ مثلَها مرتينِ[1]".

انظر كيف توزن الكلمة، ويوجب تنفيذها حتى لا تذهب مع اللغو الضائع؟ على أن الوعود الكاذبة، ليست كلاما يذهب سدى، ولكنها خرق للمصالح، وإضرار بالناس، وإهدار للأوقات، وليس صدق الوعد صفة تافهة، إنها محمدة ذكرها الله عز وجل في مناقب النبوة[2] : قال تعالى:

"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) " (سورة مريم). وسرد الصفات الفاضلة على هذا الترتيب، يدلل على ما لصدق الوعد من مكانة ولقد كان إسماعيل أصدق الناس وعدا، لما قال له أبوه: "قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)" (سورة الصافات).

وقد يندفع الإنسان إلى الكذب، حين يعتذر عن خطأ وقع منه، ويحاول التخلص من عواقبه، وهذا غباء وهوان، وهو فرار من الشر إلى شر مثله أو أشد، والواجب أن يعترف الإنسان بغلطه، فلعل صدقه في ذكر الواقع، وألمه لما بدر منه، يمسحان هفوته،

---

[1] الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : ابن عبدالبر | المصدر : الاستذكار الصفحة أو الرقم | 4/157 :خلاصة حكم المحدث : صحيح. الدرر: الموسوعة الحديثية. انظر أيضا صحيح البخاري (5/ 172).

[2] من كلام الغزالي في كتابه خلق المسلم.

ويغفران زلته. ومهما هجس في النفس من مخاوف إذا قيل الحق، فالأجدر بالمسلم أن يتشجع، وأن يتحرج من لوثات الكذب[1].

عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ» [ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق][2]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: "إذا كذَبَ العبدُ تباعَد الملَكُ عنه مِيلًا؛ مِنْ نَتَنِ ما جاءَ به"[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[4] أو كما قال ..

---

[1] من كلام الغزالي في كتابه خلق المسلم.

[2] حديث ضعيف (الألباني السلسة الضعيفة، موقع الدرر). قال بعض العلماء: "(تحروا الصدْق) أَي قَوْله وَالْعَمَل بِهِ (وَإِن رَأَيْتُمْ أَن فِيهِ الهلكة) ظَاهرا (فَإِن فِيهِ النجَاة) بَاطِنا بِاعْتِبَار الْعَاقِبَة ... مَا لم يَتَرَتَّب على الصدْق وُقُوع محذورا وعَلى الْكَذِب مصلحَة مُحَقّقَة وَإِلَّا جَازَ الْكَذِب بل قد يجب" (باختصار: انظر كتاب: التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: المناوي (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م، عدد الأجزاء: 2، ج1، ص 444). قال المناوي في فيض القدير " قال الحكماء: الصدق ينجيك وإن خفته، والكذب يرديك وإن أمنته. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا وأضدادهن سبب كل فرقة وأصل كل فساد قال الماوردي: وقد يظن بعض الناس أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاء الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارًا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل".

[3] رواه الترمذي، وابن أبي الدنيا في "كتاب الصمت" وَقَالَ التِّرْمِذِيّ حَدِيث حسن، انظر: ضعيف الترغيب والترهيب للألباني (2/ 257).

[4] صحيح البخاري (8/ 25). ما يفيده الحديث:

1 – الحرص على تحرى الصدق والاعتناء بالاتصاف به.

2 – التحذير من الكذب والحرص على اجتنابه والابتعاد عن الاتصاف به.

3 – الإشارة إلى أن الأخلاق الكريمة يمكن اكتسابها.

الإخلاص

العناصر: الإخلاص لله عند الشدائد، إفساد الرياء للأعمال ومنافاته للإخلاص، فضيلة الإخلاص.

يا أيها المسلمون: الإخلاص يسطع شعاعه في النفس، أشد ما يكون تألقاً في الشدائد، إن الإنسان عندها ينسلخ من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف في ساحة الله أوابًا، يرجو رحمته ويخاف عذابه[1]. وصور القرآن الكريم، فزع الإنسان عند الحيرة، وانقطاعه إلى ربه يستنجد به، ليخرجه من مأزقه الذي وقع فيه، قال تعالى {قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[2].

إن هذا الإخلاص، حال طارئة، والأحوال التي تنتاب المرء وتفارقه ليست خلقا، والله تبارك وتعالى، يريد من الناس أن يعرفوه حق معرفته، وأن يقدروه حق قدره، في السراء والضراء جميعا، وأن يجعلوا الإخلاص له مكينا في سيرتهم، فلا تضعف صلتهم بالله، ولا يقصدون بعملهم غيره. وحرارة الإخلاص تنطفئ رويدا رويدا، كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت، والرغبة في العلو

---

4 – وأن الأخلاق السيئة يمكن اكتسابها كذلك.

5 – وأن الأخلاق الصالحة تهدى إلى الجنة.

6 – وأن الأخلاق السيئة تسوق إلى النار. فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام من تأليف عبد القادر شيبة الحمد (10/ 287).

[1] من كلام الشيخ محمد الغزالي في خلق المسلم وكثير من العبارات في هذه الخطبة. قام علاء الدين آل رشي بتأليف كتاب بعنوان: هكذا علمني.. محمد الغزالي.. أفكار للحياة والإنسان ولبناء غد أفضل.

[2] سورة الأنعام63.

والافتخار، وذلك لأن الله يحب العمل النقي من الشوائب المكدرة، قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ}[1].

وطبيعة الإخلاص كطبيعة الثمرة الناضجة، يجب لسلامتها، الإبقاء على نظافتها وحلاوتها، أن تكون خالية من العطوب والآفات.

وقد أعلن الإسلام، كراهيته العنيفة للرياء في الأعمال الصالحة، واعتبره شركا بالله رب العالمين. والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال وهو إذا استكمل أطواره، وأتم دورته في النفس، كما تستكمل جراثيم الأوبئة أطوارها ودورتها، أصبح ضربا من الوثنية، التي تقذف بصاحبها في سواء جحيم[2].

"عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ بِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى وَلِيَ اللَّهِ فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ تَعَالَى بِالْمُحَارَبَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»[3].

---

[1] سورة الزمر، 2.

[2] محمد الغزالي، خلق المسلم، الإخلاص.

[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم (4/ 364): هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ؛ انظر أيضا: الأسماء والصفات للبيهقي (2/ 461). (قلوبهم مصابيح الهدى) أي: كالمصابيح في الهدى والشرع المستقيم التي تضيء لنفسه وتضيء لغيرها (يخرجون) أي: يعتزلون (من كلّ غبراء) ومشاكل (مظلمة) وفتن مهلكة واختلافات مختلطة التي لا وجه لحلها، ولا طاقة لفكها. انظر مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى (24/ 81)، من تأليف محمد الأمين الهرري.

عَنْ طَاوُسٍ[1]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [سورة الكهف: 110][3].

[الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار التّعاليم الإسلاميّة، وهذا الوعي لا يمكن أن يتمّ بغير معرفة، لأنّه لا يمكن أن يتأتّى عن جهل، وجهل الإنسان لا يمكن أن يؤدّي إلى إخلاص حقيقيّ، ومن ثمّ كان العلم شرطا ضروريّا لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقّق الإخلاص][4].

---

[1] "طاووس بن كيسان (33 – 106هـ، 654 – 725م). اليماني أبو عبدالرحمن. أصله من فارس، ولد ونشأ باليمن. من سادات التابعين، مُحدِّث ثقة، وفقيه فاضل، وعابد زاهد، ومن المكثرين عن ابن عباس. روى عن عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبدالله، وغيرهم. ورُوي عنه أنه قال: أدركت خمسين من الصحابة. روى عنه ابنه عبدالله، ووهب بن مُنبّه، والزهري، وأبو الزبير المكي، والحكم بن عتيبة، وآخرون. وحديثه في الكتب الستة. مات بمكة، وهو محرم بالحج وصلى عليه الخليفة الأُموي هشام بن عبدالملك؛ حيث كان حاجًا تلك السنة". عبد الله بن طاووس (؟. 132هـ، ؟ – 749م). (الموسوعة العربية العالمية).

[2] "ابن عباس (3 ق هـ – 68 هـ): هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب. قرشي هاشمي. حبر الأمة وترجمان القرآن. أسلم صغيرًا ولازم النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وروى عنه. كان الخلفاء يجلونه. شهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره. كان يجلس للعلم، فيجعل يوما للفقه، ويومًا للتأويل، ويومًا للمغازي، ويومًا للشعر، ويومًا لوقائع العرب. توفي بالطائف" الموسوعة الفقهية الكويتية (1/ 330).

[3] المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 122)؛ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

[4] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (2/ 126).

عزة النفس

العناصر: لا خضوع إلا لله، كل شيء عنده بمقدار، بيده وحده الضر والنفع.

أيها المسلمون[1]: لما كان في النفس الإنسانية شيء من الضعف والقلق، ربما حملها على الخضوع لمن يملك الفصل في أمورها وقضاء مطالبها، وربما جرها إلى مواقف تجافي الكرامة، لذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا نزل في هذه الأمور، وأن تبقى جباهنا عالية ونحن نسعى إلى ما نبغي فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ بِعِزَّةِ الْأَنْفُسِ، فَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِالْمَقَادِيرِ»[2].

ويبين لنا أن البشر لو اجتمعوا بأسرهم أذل من أن يمنعوا شيئاً أعطاه الله، وأقل من أن يعطوا شيئا منعه الله، ومن ثم فعلى المسلم أن يرد مصاير الأمور إلى مدبرها الأعظم، وأن يجعل الثقة فيه وعليه العول، وليكبر دينه فلا يذل به، وليملك نفسه فلا يعطى فرصة لأحمق كيما يستعلي ويستكبر، فإن قرارا ما لن يتم إلا إذا أمضاه الله قال تعالى:

---

[1] العبارات التالية مأخوذة في معظمها من كتاب الغزالي، محمد (2002 م). خلق المسلم. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والتوزيع والنشر. ونجد النصوص السابقة في خطبة من خطب الشيخ محمد راتب النابلسي من دون ذكر المصدر ... http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=6117

يبدو أن الكثير من الخطباء يفضلون الاسترسال وايراد الشواهد باعتبار خصوصية خطبة الجمعة ... وهو الأمر يولد إشكالات عديدة ذات صلة بأصل الخطبة ومن هو كاتبها، ومن هو الناقل لها.

[2] فوائد تمام من تأليف محمد بن تمام (1/ 85) الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ. (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس) الباء للمصاحبة طلباً مصاحباً عزة الأنفس وهذا في طلبها من العباد، وفيه دليل على أن ذلك جائز وإن كان غيره أفضل وفيه أنه لا يذل نفسه عند الطلب (فإن الأمور كلها تجري بالمقادير) بما قدره الله تعالى إن قدر تمامه فإنه ليس الذل بجالب له ولا العزة بمانعٍ عنه. فإن قلت: إذا كان جارياً على المقادير فأي حاجة في الطلب إذا المقادير هي التي تسوقه لا الطلب فهلا ترك الطلب لأنها قد قدرت. هذا سؤال يورده من لا يعرف حكمة الله في ربط الأسباب بالمسببات فإنه تعالى قد جعل مجرد الطلب سببا ولم يجعل إذلال النفس سببا فإن فعل السبب المباح وقدر تعالى قضاء الحاجة قضيت وإلا فلم أذل نفسه ولا ترك ما أمر به". التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (2/ 436). "الحرص على الدنيا، والانشغال بها، والتكالب على جمعها، بما يقلل من الاهتمام بالآخرة، أو بما يضحي بعزة المؤمن وكرامته في سبيلها". فتح المنعم شرح صحيح مسلم (8/ 242) من تأليف موسى شاهين لاشين.

{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[1].

ومظهر السلطة الذي يمنحه الله طائفة من العباد لا يغير قيد شعرة من إرادة القاهر فوق عباده. إننا في أحيان كثيرة نحس أننا مغلوبون على أمرنا. لكن هذا الإحساس منتف في حق الله تعالى الذي لا يمكن أن يعجزه شيء: قال تعالى {وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[2].

فالأدنى إلى الحق، والأقرب إلى النفع، والأرشد في علاج المشاكل، أن يظل المسلم منتصب القامة، مرتفع الهامة، يجأر إلى مولاه بالدعاء، ويكشف انكساره لربه وحده، فلا يذل لمخلوق. قال الله تعالى {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[3].

عباد الله أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[1] سورة فاطر: 2.

[2] سورة يوسف: 21.

الصدق

الحمد الله أصدق القائلين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فسعدوا في الدنيا وعزهم الإسلام، وكانوا بحق أئمة الأنام {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[1]، وبعد ،،،

فإن الإنسان موضع رعاية الله تعالى ومحل عنايته خلقه بيده وصوره فأحسن صوره وجعله خليفته في أرضه ورفع قدره وأعلى مكانته وفضله على كثير من خلقه "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً"[2]. من أجل هذا حباه بفضله وأرسل له رسله وأنزل عليه كتبه وجعله هدف رسالته السماوية ليخرجه بذلك من الظلمات إلى النور.

نعم إن هدف الرسالات السماوية شرف الإنسان والارتقاء به في مدارج الكمال البشري، ليكون إنساناً حضارياً راقياً يرنو دائماً إلى الكمال المنشود. ومن أجل ذلك رسم له الوحي الأعلى أنماطاً من السلوك المستقيم ونماذج طيبة من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم [وفي الحديث الشريف]، " إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ[3]" وذلك من شأنه أن يجعل الإنسان مزوداً بالقيم العليا والمثل الكريمة الفاضلة يتفاعل مع المجتمع فيعيش مع أبناء جنسه محبوباً يألف ويُؤْلف، والإنسان اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش وحده.

"ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر".

---

[1] سورة الأنعام: 90.

[2] الإسراء / 70.

[3] رواه البيهقي في السنن الكبرى، والبغوي في شرح السنة، والبزار في كتابه مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار.

ولابد حينئذ من أن يتصف بصفات الصدق[1] والإخلاص والوفاء يتعامل بها مع الناس «فالدين حسن الخلق[2]» «والدين المعاملة[3]». إن الصدق أمارة على طهارة الباطن والنفس العالية والضمير الحي والروح الكريمة، إنه يدل على سمو الإنسان أمام نفسه وإحساسه بقيمة كيانه فهو يجعل بين جنبيه قلباً مليء بالثقة والرضا والطمأنينة والشجاعة الأدبية فهو يقول الحق وينطق بالصدق ولا يخشى في الله لومة لائم ولسان

---

[1] لغة: ضد الكذب، يقال: هو رجل صدق، وصديق صدق أي صادق الرجولة والصداقة لا يخون صدق يصدق صدقا، صدقا، في وعده أو وعيده: أنفذه وصدقه: قبل قوله والمصدق: هو الذي يصدقك في حديثك والصديق: الدائم التصديق، وهو أيضا الذي يصدق قوله بالعمل. واصطلاحا: هو من الصفات الحميدة في الإنسان، بل إنه من أفضل الصفات الإنسانية على الإطلاق، ذلك أن من يتحلى بالصدق في القول وفى العمل، فهو لبنة صالحة في بناء المجتمع الإنساني، لأن الصدق من أهم الدعائم التي تستقيم بها حياة الفرد، وتصلح بها العلاقات الاجتماعية، وتقوى بها الروابط بين الناس في المجتمع، ولذا حث الإسلام عليه، ووعد الصادقين جنات النعيم" موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة (ص: 394، بترقيم الشاملة آليا)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

[2] قال ابن قيم الجوزية "الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ. وَكَذَلِكَ التَّصَوُّفُ. قَالَ الْكِنَانِيُّ: التَّصَوُّفُ هُوَ الْخُلُقُ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: فَقَدْ زَادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ بَذْلُ النَّدَى، وَكَفُّ الْأَذَى، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى. وَقِيلَ: حُسْنُ الْخُلُقِ: بَذْلُ الْجَمِيلِ، وَكَفُّ الْقَبِيحِ. وَقِيلَ: التَّخَلِّي مِنَ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ. وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ لَا يُتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ". مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 294). الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

[3] "فالدين ليس فقط معاملة مع الله، بل هو معاملة مع الخلق أيضاً، ولئن كانت حقوق الله مبنية على المسامحة فإن حقوق العباد مبنية على المشاحة، لذا وجب علينا معرفة هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في المعاملة مع الخَلق؛ لنتأسى به، فتنصلح علاقاتنا الأسرية والاجتماعية. كما أن إشاعتنا لهدي النبي – صلى الله عليه وسلم – فيه أبلغ الرد وأقومه على الافتراءات والأباطيل التي يثيرها الأفاكون عن شخصه – صلى الله عليه وسلم –، فلئن تساءل بعضهم عن الخير الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم –، فإنا نعتقد أنه – صلى الله عليه وسلم – جاء بكل خير ... ومن أعجب ما رأينا من صور سوء المعاملة؛ ما درج عليه بعض الأزواج، فتراه مع أصحابه طلْقَ المحيا براقَ الثنايا، فإذا ما وصل إلى عتبة بيته أخفى ابتسامته وتصنع تكشيرة وعبوساً" من كتاب الدين المعاملة (ص: 5، 9) من تأليف منقذ بن محمود السقار.

حاله [كما في الحديث الشريف] «قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا[1]» «وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ[2]».

إن فضيلة الصدق من أرفع الصفات شأناً وأعلاها قدراً وكيف لا وهو عنصر العقيدة الإسلامية؛ عقيدة التوحيد وأساس الإسلام. إن تصديق الرسل يستوجب الصدق معهم وذلك بدوره يرجع لا محالة إلى تصديق الباري جل جلاله فهو تبارك في علاه اختار لهم الرسل واصطفاهم هداةً مبشرين ومنذرين، صدقوا فيما بلغوا عن ربهم وأن الناس صدقوهم فيما بلغوه لهم عن الله عز وجل.

ومما يزيد الصدق سمواً ويرفع قدره بين مكارم الأخلاق أن الله عز وجل أصدق القائلين وصف نفسه به فقال عز من قائل {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}[3]، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}[4]. والرسالة السماوية الخاتمة الخالدة هي الحق الذي لا يشوبه باطل والصدق الذي لا يخالطه كذب وقد بين الله عز وجل أن أعظم ألوان الكذب هو الكذب على الله ويليه تكذيب الرسالات السماوية فقال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ»[5].

---

[1] صحيح ابن حبان – محققا (2/ 79)، وفي صحيح ابن حبان – محققا (2/ 194) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ أَوْصَانِي بِأَنْ لَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي وَأَوْصَانِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ رَحِمِي وَإِنْ أَدْبَرَتْ وَأَوْصَانِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ وَأَوْصَانِي أَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا وَأَوْصَانِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كنز من كنوز الجنة". انظر أيضا المعجم الصغير للطبراني (2/ 48).

[2] معجم ابن الأعرابي (2/ 744)، مشيخة الآبنوسي (1/ 215)، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (9/ 480)، الجزء الرابع من المشيخة البغدادية (ص: 34)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (7/ 3086)، التيسير بشرح الجامع الصغير (2/ 90)، فيض القدير (4/ 196).

[3] سورة النساء: 122.

[4] سورة النساء: 87.

[5] سورة الزمر: 32.

ولا ريب أن رسل الله صلى الله عليهم أجمعين هم صفوة وقمة المثل العليا والأسوة الكريمة التي صاغها الله للبشرية لتسير على هديها والقدوة الكريمة التي رباها ربنا جل جلاله لينهج الناس نهجها؛ أعدهم الله على خلق عظيم في مقدمته الصدق. إنها أربع صفات تلازم هؤلاء المصطفين الأخيار «الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة» وقد مدح الله مجموعة من رسله وصفهم في سورة مريم عليها وعلى عيسى عليه السلام فقال في شأن إبراهيم عليه السلام «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا»[1].

وقال في شأن إدريس عليه السلام {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57)}[2]. وأثنى جل جلاله على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وأبو بكر منهم فقال {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34)}[3].

إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم عرف بالصدق والأمانة منذ نعومة أظفاره، واشتهر بذلك فكان إذا قيل الصادق الأمين اتجه السامعون إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وحين بنت قريش الكعبة وأرادوا وضع الحجر الأسود في ركنه من البناء أرادت كل قبيلة أن تقوم هي بحمله ووضعه مكانه ليكون لها الشرف على القبائل واختلفوا حتى كادت الحرب تقع بينهم فقال الحكم بن هشام نُحكم أول داخل للبيت الحرام من باب الصفا فلما رأوا محمداً فرحوا وقالوا هذا الصادق الأمين رضينا حكمه[4].

---

[1] سورة مريم: 41.

[2] سور مريم: 56 – 57.

[3] سورة الزمر: 33، 34.

[4] قال البوطي في فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص: 55) ولقد شارك الرسول صلّى الله عليه وسلم قبل البعثة في بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة فعالة، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه، ما بينها وبينه إلا إزاره، وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة في الأصح. وروى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله

وحين جاءه الوحي الأعلى رجع بالآيات يخفق فؤاده إلى زوجه خديجة بنت خويلد فقال لقد خشيت على نفسي وحدثها بما رأى في الغار، فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدا «إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وتصدق الحديث وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نوائب الدهر»[1] واستدلت بصدقه من بين أخلاقه على حفظ الله له وذلك أن الصِّدْق مَنْجَاة[2].

وقد وقف صلى الله عليه وسلم حين أراد دعوة قومه إلى الإسلام وفاجأهم لأول مرة بأمر الله عز وجل وذلك غريب على أسماعهم وشديد على نفوسهم فجعل الصدق

عنه قال: «لما بنيت الكعبة، ذهب النّبي صلّى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنّبي صلّى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال: أربي إزاري فشدّه عليه».

ولقد كان له صلّى الله عليه وسلم أثر كبير في حلّ المشكلة التي تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذي أبداه حلّا للمشكلة، علما منهم بأنه الأمين والمحبوب من الجميع.

[1] ورد في مسند أحمد (43/ 53) قَالَتْ عَائِشَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَرَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ فَقَالَ " زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزُمِّلَ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ، قَالَ يَا خَدِيجَةُ: لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي بَلَاءً، لَقَدْ أَشْفَقْتُ عَلَى نَفْسِي بَلَاءً، قَالَتْ خَدِيجَةُ: أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِي خَدِيجَةُ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدٍ، وَكَانَ رَجُلًا قَدْ تَنَصَّرَ شَيْخًا أَعْمَى، يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي رَأَى مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ قَطُّ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ".

[2] فالصدق طمأنينة، لا يندم صاحبه أبدا، ولا يقول: ليتني وليتني؛ لأن الصدق منجاة، والصادقون ينجيهم الله بصدقهم، وتجد الصادق دائما مطمئنا؛ لأنه لا يتأسف على شيء حصل أو شيء يحصل في المستقبل؛ لأنه قد صدق، و ((من صدق نجا)) . أما الكذب، فبين النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه ريبة، ولهذا تجد أول من يرتاب في الكاذب نفسه، فيرتاب الكاذب: هل يصدقه الناس أو لا يصدقونه؟

ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله أنه صدق؛ لئلا يرتاب في خبره، مع أنه محل ريبة. شرح رياض الصالحين (1/ 300) من تأليف محمد بن صالح بن محمد العثيمين.

قاعدة الانطلاق إلى كلامهم وطريقاً إلى تصديقه فقال «أرأيتم لو أخبرتكم بأن خيلا وراء هذا الوادي تريد أن تهلكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط[1]».

إن الصدق من صفات المؤمنين الذين استحقوا به حسن المثوبة وعظيم المغفرة والأجر الموفور في الآخرة «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»[2].

ولقد عدد المولى جل جلاله ألوان البر والبر هو جماع الخير أي الخير كله فقال سبحانه «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»[3].

وإذا كان الصدق من أعظم الصفات الكريمة فإن الكذب من أوخم الصفات الذميمة ويكفيه شناعة أنه دليل على خبث طوية صاحبه ولؤم طبعه وأن فيه ضياع حقوق الناس وقد يؤدي إلى الفتنة ويشعل نار العداوة ويوقع بين الناس فيترتب عليه إهاجة العدوان على الأنفس بالقتل وإثارة نار الحرب. ورب كذبة أهلكت أمة حملتها على إعلان الحرب وقتل الآلاف من البشر دون ما سبب فأشاعت الخراب وأكلت

---

[1] ورد في الخصائص الكبرى (1/ 150) للسيوطي نَادَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي قُرَيْش بَطنا بَطنا فَقَالَ: أَرَأَيْتُم لَو قلت لكم إن خيلا بسفح هَذَا الْجَبَل أَكُنْتُم مصدقي؟ قَالُوا: نعم، مَا جربنَا عَلَيْك كذبا قطّ.

[2] سورة الأحزاب: 35.

[3] سورة البقرة: 177.

الأخضر واليابس وأتت على كل شيء «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا»[1].

وهكذا فإن مما يزيد في جمال الصدق ويبين روعته وبهاءه أن نعرف عواقبه فكما قيل «بضدها تتميز الأشياء» ورحم الله أمير المؤمنين على بن أبي طالب إذ يقول «عليكم بالصِّدقَ، وإن رأيتُم فيهِ الهلَكةَ، فإنَّ فيهِ النَّجاةَ، وإياكم والكذبَ وإن رأيتُم فيهِ النَّجاةَ، فإنَّ فيهِ الهلَكةَ».

إن الإسلام يحرص الحرص كله على أن يربي الناشئة على الصدق منذ طفولتهم ويربيهم على قول الحق منذ نعومة أظفارهم حتى يكبروا وهم مطبوعون عليه مجبولون على قوله. قال الشاعر:

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا ... على ما كان عوَّدَه أبوه.

والخلق[2] ليس كلمة تقال أو عِظة تؤدى وإنما هو تدريب متتابع متواصل على أن تلتزم بالخلق الفاضل والسلوك النبيل في كل المواقف دون استثناء فلا يحمله على الكذب رغبة أو رهبه أو محاباة أو زلفى. سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب عن رسول

---

[1] سورة الأحزاب: 58.

[2] كثيرًا ما تُستعمل الكلمتان الأخلاق والخُلق بوصفهما لفظين مترادفين، لكن الفلاسفة يرون أنه من الأنسب التمييز بينهما. فالأخلاق، تُحيل القارئ إلى العلم النظامي العام الذي يدرس السلوك القويم والسلوك السقيم. أما الخُلق فهو يختص بأنماط السلوك الواقعية، فالأخلاق إذا ما انفصلت عن الخُلق فسوف تكون تصوّراً تجريدياً عديم المعنى، لأن الفلاسفة وضعوا للأخلاق أساساً يتمثّل في التحليل التأملي للتجربة الخلقية." (الموسوعة العربية العالمية، الأخلاق). وفي موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة يجيء لفظ "الخلق" ولفظ الأخلاق وصيغ أخرى تنبثق منهما وصفا لفكر الإنسان وسلوكه دون غيره من المخلوقات: ذلك لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي منحه الله طاقات متميزة من الإدراك والتفكير وحرية الإرادة لذا جاء سلوكه مرتبطا بالفكر، ومتوافقا مع ما يدين به من اعتقاد. كذلك فإن الإنسان منذ نشأته يمارس الحكم الأخلاقي على الأشياء، فهذا خير وذاك شر، وهذا حسن، وذاك قبيح، وهذا نافع، وذاك ضار الأمر الذي جعله يستحق وصف أنه كائن أخلاقي. ويطلق لفظ الخلق ويراد به القوة الغريزية التي تبعث على السلوك كما يراد به السلوك الظاهر "أي الحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقا أن يفعل شيئا دون شيء". المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر.

الله صلى الله عليه وسلم فقال أصادق هو أم كاذب؟ فقال: بل هو صادق وفي رواية أيصدق في حديثه أو يكذب؟ فقال: بل يصدق. فقال هرقل: ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله[1].

وقد بين صلى الله عليه وسلم كيف يتدرج الإنسان في اكتساب الأخلاق فقال صلى الله عليم وسلم «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا[2]» ومن ثم فقد رأى صلى الله عليه وسلم امرأة من الأنصار تأمر ولدها بصنع شيء وتعده إن فعله أن تعطيه تمراً فقال والله لو لم تعطيه لكتبها الله عليك كذبة[3]، [فانظر كيف يعلم الرسول –صلى الله عليه وسلم– الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبًا صغيرًا وهو عند الله عظيم].[4]

---

[1] انظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص: 19) من تأليف محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري.

[2] رواه البخاري ومسلم. قال النووي قال العلماء: في هذا الحديث حث على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه كثر منه فيعرف به.

[3] ورد في مسند أحمد (24/ 470) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِنَا وَأَنَا صَبِيٌّ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَخْرُجُ لِأَلْعَبَ، فَقَالَتْ أُمِّي: يَا عَبْدَ اللهِ تَعَالَ أُعْطِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟ " قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِي كُتِبَتْ عَلَيْكِ كَذْبَةٌ". انظر سنن أبي داود (4/ 298)، مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: 72)، السنن الكبرى للبيهقي (10/ 335)، مصنف ابن أبي شيبة (5/ 236)، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (9/ 103) من تأليف صهيب عبدالجبار.

[4] محمد الغزالي، خلق المسلم، ص 38؛ الحديث الموضوعي – جامعة المدينة (ص: 322)، المكتبة الشاملة.

[قال بعض العلماء: فيه أن ما يتفوه به الناس للأطفال عند البكاء مثلًا بكلماتِ هزلًا أو كذبًا بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء، حرام داخل في الكذب[1]].

وكان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتحرون الصدق في كل أحوالهم ويحرصون عليه فيما بينهم. خرج أحد أئمة الحديث إلى بلده قطع في الوصول إليها شهراً فلما وصل إليها رأى راوي الحديث الذي يقصده يجمع أطراف ثوبه على حصا ويكذب على فرسه بوهمها أن في حجره فولاً أو شعيراً لتقبل عليه فأعظم هذا الأمر وأحجم عن رواية الحديث عن هذا الرجل وخشي أن يكون متعودا للكذب فيكذب في حديث رسول الله ورجع بعد هذه المشقة البالغة إلى خوفا من كذب الرجل عليه حيث كذب على فرسه[2].

إن الأخلاق كما تكتسب بالتعليم تكتسب بمخالطة ذوي السلوك الطيب والخلق الكريم وتؤخذ بالصحبة ويعتادها من يعاشر الكرام وصدق القائل [طرفة بن العبد]:

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينهِ ... فكل قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

فإن كانَ ذا شرٍ فجانبْهُ سرعةً ... وإن كان ذا خيرٍ فقارنْه تهتدي

ومن أنماط الصدق نوع لا يكتفى فيه بصدق النطق ومطابقة الكلام للواقع ولكنه صدق بذل النفوس والمهم، والجود بكل مرتخص وغال وهو الصدق في مواطن النزال وفى مقارعة الأبدال والجهاد في سبيل ربه ينتصر الحق ويعز دين الله وترفع راية التوحيد. إنه

---

[1] بذل المجهود في حل سنن أبي داود (13/ 391) من تأليف خليل أحمد السهارنفوري.

[2] ورد في الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة (ص: 90) من تأليف عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني: وكان أهل العلم يشددون في اختيار الرواة أبلغ التشديد، جاء عن بعضهم – أظنه الحسن بن صالح بن حي– أنه قال: كنا إذا أردنا أن نسمع الحديث من رجل سألنا عن حاله حتى يقال: أتريدون أن تزوجوه؟ وجاء جماعة إلى شيخ ليسمعوا منه فرأوه خارجاً وقد انفلتت بغلته وهو يحاول إمساكها وبيده مخلاة يريها إياها، فلاحظوا أن المخلاة فارغة، فرجعوا ولم يسمعوا منه.

في اللقاء وقد عبر عنه الأنصار حين سألهم صلى الله عليه وسلم رأيهم قبل موقعة بدر فقالوا: يا رسول إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]. وصدق الله عز وجل إذ يقول «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً» (الأحزاب: 23).

وفي السيرة النبوية "عَنْ شَدَّادِ بْنِ الهَادِ- رضي الله عنه -: "أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ فَآمَنَ بالنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ؟ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ غَزَاةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فِيْهَا شَيْئَاً فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: "قَسَمْتُهُ لَكَ"، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنْ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَا هُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ. فَقَالَ: "إِنْ تَصْدُقِ الله يَصْدُقْكَ"، فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ العَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مَحْمُوْلاً قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -:"أَهُوَ هُوَ؟ "، قَالُوا نَعَمْ. قَالَ: "صَدَقَ الله فَصَدَقَهُ"، ثُمَّ كُفِّنَ فِي جُبَّةِ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلاَتِهِ: "اللهمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا وأنا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ".[2]

---

[1] انظر كتاب: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي (3/ 34)، الرحيق المختوم للمباركفوري (ص: 189)، القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص: 224) من تأليف محمد الطيب النجار، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين (ص: 100) لمحمد الباجوري.

[2] التحبير لإيضاح معاني التيسير (3/ 42)؛ تحفة الأحوذي (4/ 110)؛ ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (19/ 206)؛ نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار لبدر الدين العيني (7/ 400)؛ ورد في موقع الدرر السنية:

[والعمل الصادق هو العمل الذي لا ريبة فيه لأنه وليد اليقين، ولا هوى معه لأنه قرين الإخلاص، ولا عوج عليه لأنه نبع من الحق. ونجاح الأمم في أداء رسالتها، يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة. فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة، سبقت سبقا بعيدا، وإلا سقطت في عرض الطريق؛ فإن التهريج والخبط، والادعاء والهزل؛ لا تغني فتيلا عن أحد[1].]

نسأل الله أن يرزقنا الله جميعا الصدق في القول، والإخلاص في العمل ووفقنا لما يحبه ويرضاه... آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم.

"الراوي: شداد بن عبدالله بن الهاد، المحدث: المنذري ، المصدر : الترغيب والترهيب، خلاصة حكم المحدث صحيح أو حسن أو ما قاربهما".

[1] خلق المسلم لمحمد الغزالي، ص 43.

الفصل الثالث: ألبوم الذِّكريات
ونماذج من خط الشيخ

الفصل الثالث: ألبوم الذِّكريات ونماذج من خط الشيخ

تعكس الصور الفوتوغرافيّة شخصية الشيخ خليل الاجتماعية الشغوفة بحضور المناسبات الاجتماعية والدينية وتأدية الواجب الديني باعتبار الشيخ واعظا دينيا. الصورة الأولى لفضيلة الشيخ خليل مع ابننا ناصر ملك في منطقة الدوحة بالكويت وبعدها مجموعة صور للشيخ خليل مع أصحابه وفي مناسبات متعددة معظمها في مصر.

وهناك صورة نادرة للشيخ في فترة الخمسينات من القرن الماضي. وأخيرا أضفنا بضعة رسائل منبرية وشخصية في حوزتنا كُتبت بخط الشيخ خليل أبوطالب رحمه الله.

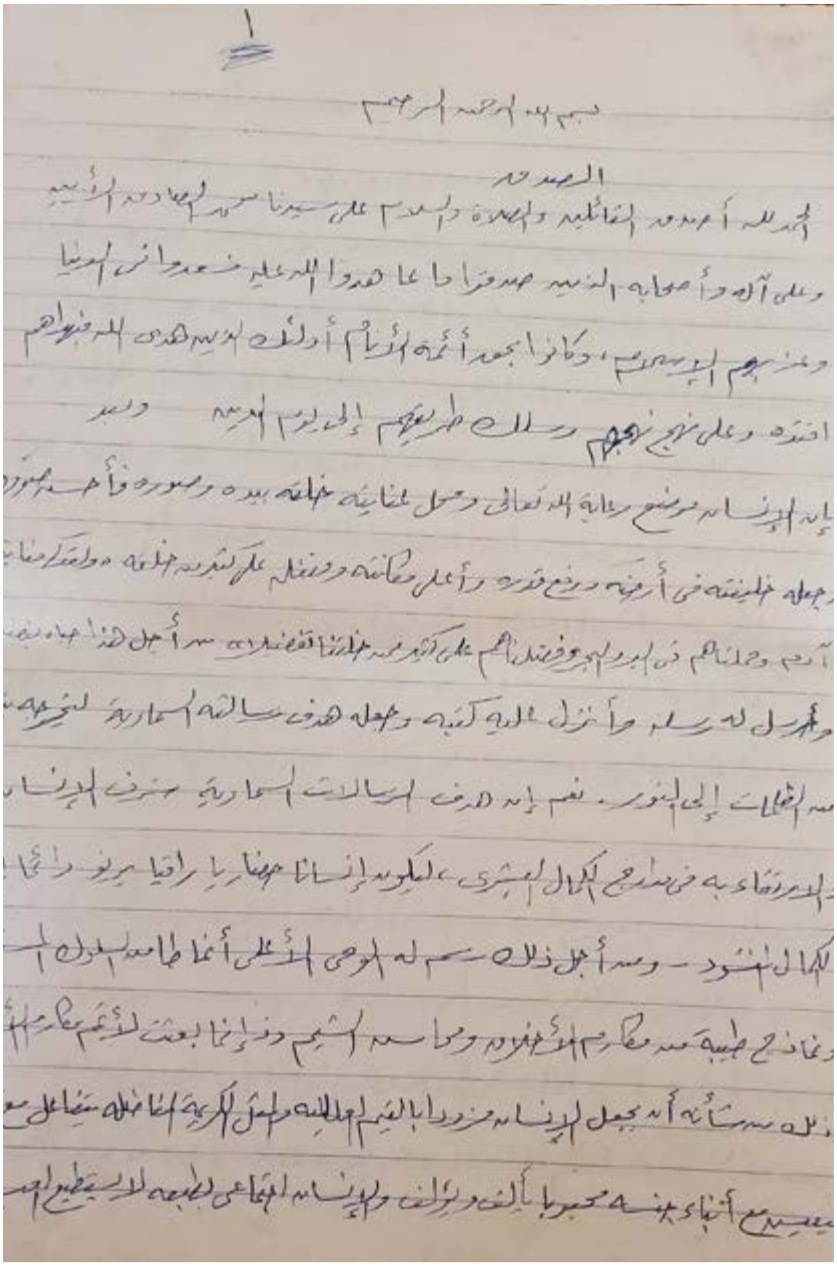

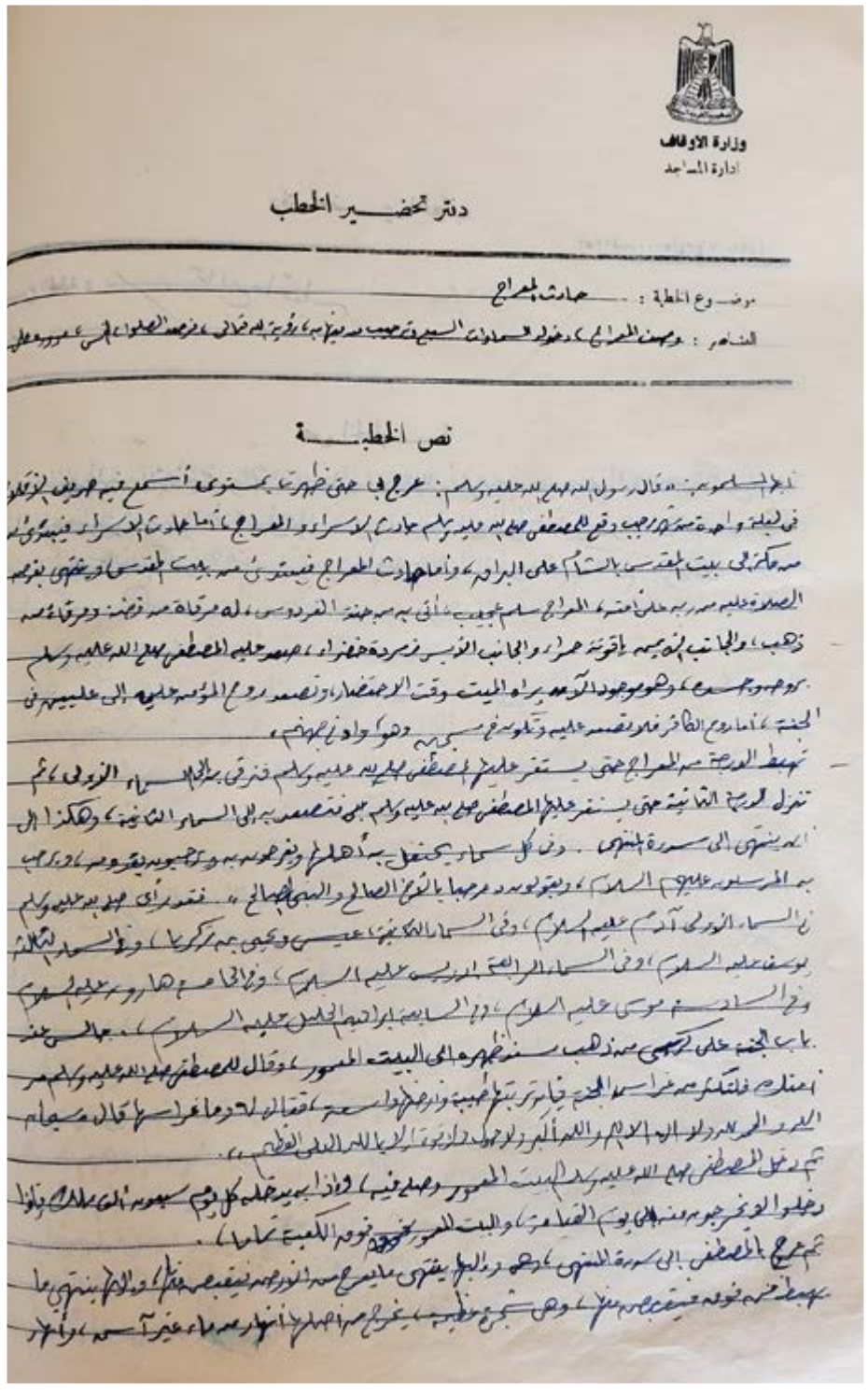

وزارة الأوقاف
إدارة المساجد

دفتر تحضير الخطب

موضوع الخطبة : حادث المعراج

الهدف : وصف المعراج ، وفرض الصلوات الخمس ، وأنها عماد الدين ، وفرضها على كل مسلم ومسلمة

نص الخطبة

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام في ليلة واحدة سنة وعشرين وقع المصطفى صلى الله عليه وسلم حادث الإسراء والمعراج ، أما حادث الإسراء فيسري به من مكة إلى بيت المقدس بالشام على البراق ، وأما حادث المعراج فيعرج به من بيت المقدس إلى ما شاء الله بنزول الصلوات عليه من ربه على أمته ، والمعراج سلم عجيب يأتي به من الجنة الفردوس ، له مرقاة من زمرد ومرقاة من ذهب ، والجانب الذي يليه يأتونه حمراء ، والجانب الآخر زبرجدة خضراء ، صعد عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو جسم ، وهو موجود الآن عند بيت المقدس ، وقت الاحتضار ، وتصعد روح المؤمن عليه إلى عليين في الجنة ، أما روح الكافر فلا تصعد عليه وتلوى في سجين وهو واد في جهنم .

تهبط الدرجة من المعراج حتى يستقر عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم فترقى به إلى السماء الدنيا ، ثم تنزل الدرجة الثانية حتى يستقر عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم بين تصعد به إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى سدرة المنتهى . وفي كل سماء يحتفل به أهلها ويفرحون به ويحيونه بقدومه ، وقد رأى به الأنبياء عليهم السلام ، ويقولون له مرحبا بالنبي الصالح والنبي الصالح ... فقد رأى صلى الله عليه وسلم في السماء الدنيا آدم عليه السلام ، وفي السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام ، وفي السماء الثالثة يوسف عليه السلام ، وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام ، وفي الخامسة هارون عليه السلام ، وفي السادسة موسى عليه السلام ، وفي السابعة إبراهيم الخليل عليه السلام ، جالس عند باب الجنة على كرسي من ذهب مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وقال للمصطفى صلى الله عليه وسلم أمتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، فقال ما غراسها ؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم دخل المصطفى صلى الله عليه وسلم البيت المعمور وصلى فيه ، وإذا أبيد على كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه أبدا إلى يوم القيامة ، والبيت المعمور يحج فوقه الكعبة تماما .

ثم عرج بالمصطفى إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السابعة ما يعرج من فوقها ينتهي إليها ولا ينزل من فوقها ينتهي إليها ، وهي شجرة عظيمة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار

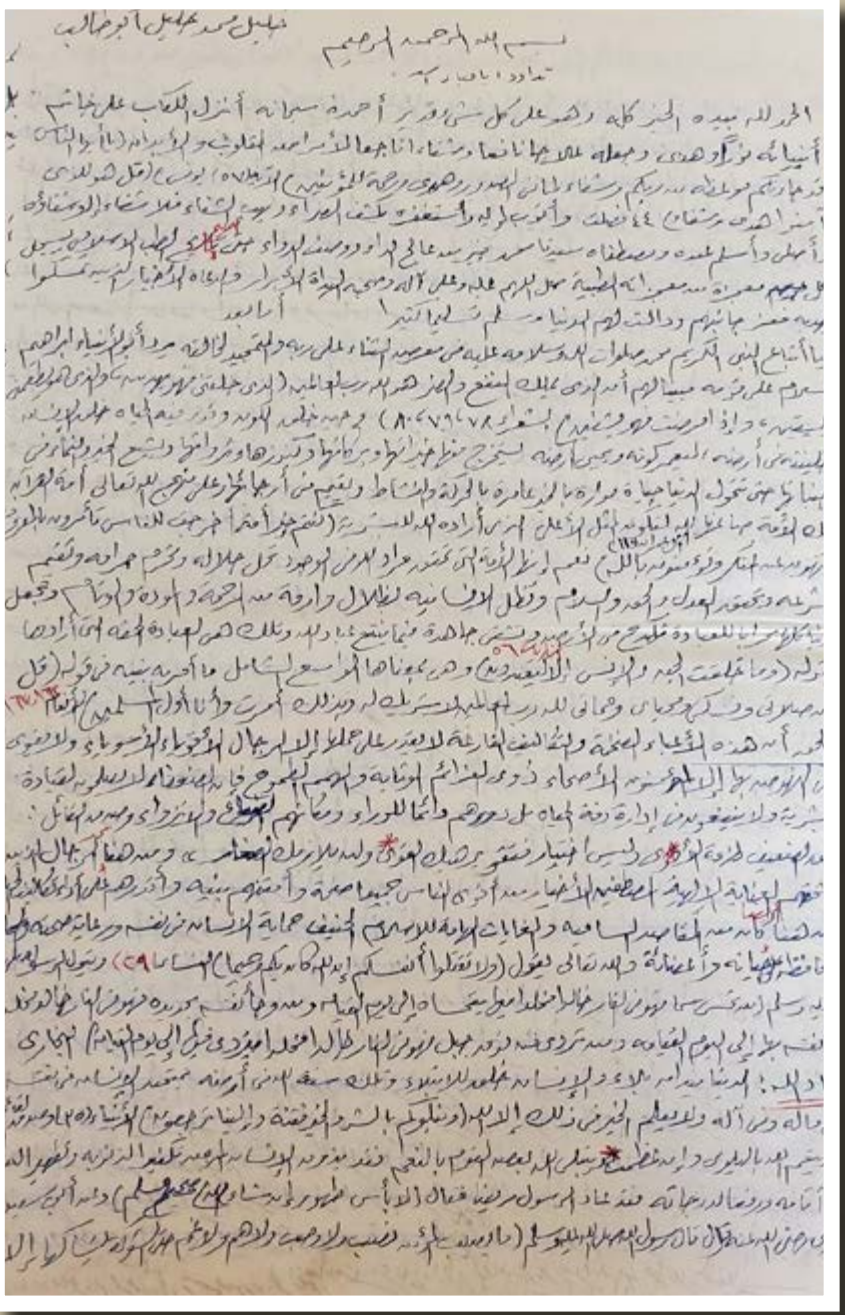

بسم الله الرحمن الرحيم

STATE OF BAHRAIN
MINISTRY OF JUSTICE AND
ISLAMIC AFFAIRS
ISLAMIC AFFAIRS DIRECTORATE

دولة البحرين
وزارة العدل والشئون الإسلامية
ادارة الشئون الاسلامية

No. رقم الكتاب : ش س / ١٩٨٨٨٠٣
Date التاريخ : ٢٦ رمضان المبارك ١٤٠٨ هـ
الموافق : ١٢ مايو ١٩٨٨م

حضرة الفاضل المكرم فضيلة الشيخ خليل محمد خليل ابوطالب المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يسر وزارة العدل والشئون الاسلامية أن ترفع لفضيلتكم شكرها وتمنياتها الطيبة على ما تعتم به من إرشاد ووعظ طيلة إقامتكم في بلدكم البحرين .

كما يسرها أن ترفع تقديرها لمساهمتكم الجليلة في إحياء شهر رمضان المبارك .

نسأل العلي القدير أن يمتعكم بالصحة والسعادة والتوفيق في جميع أعمالكم الصالحة .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والاحترام .

عبدالله بن خالد آل خليفة
وزير العدل والشئون الاسلامية

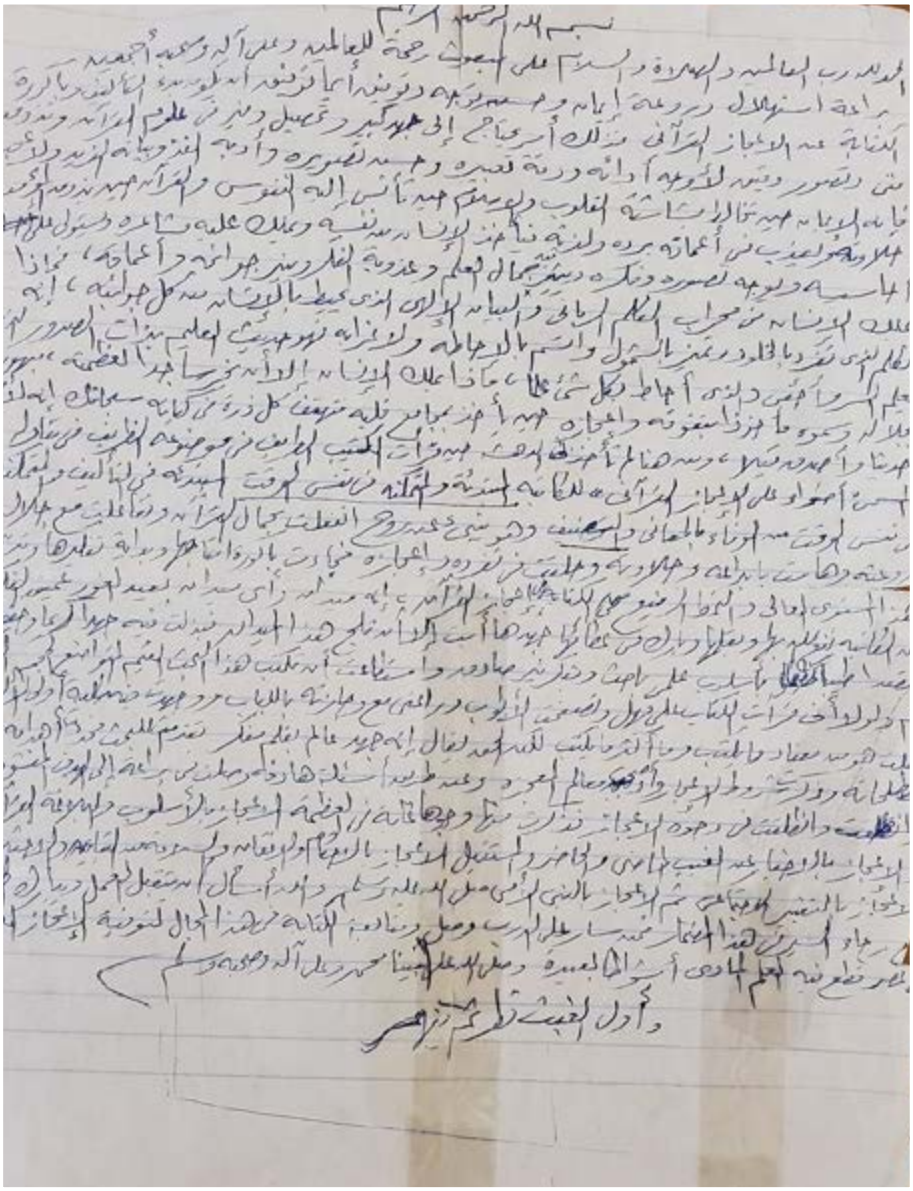

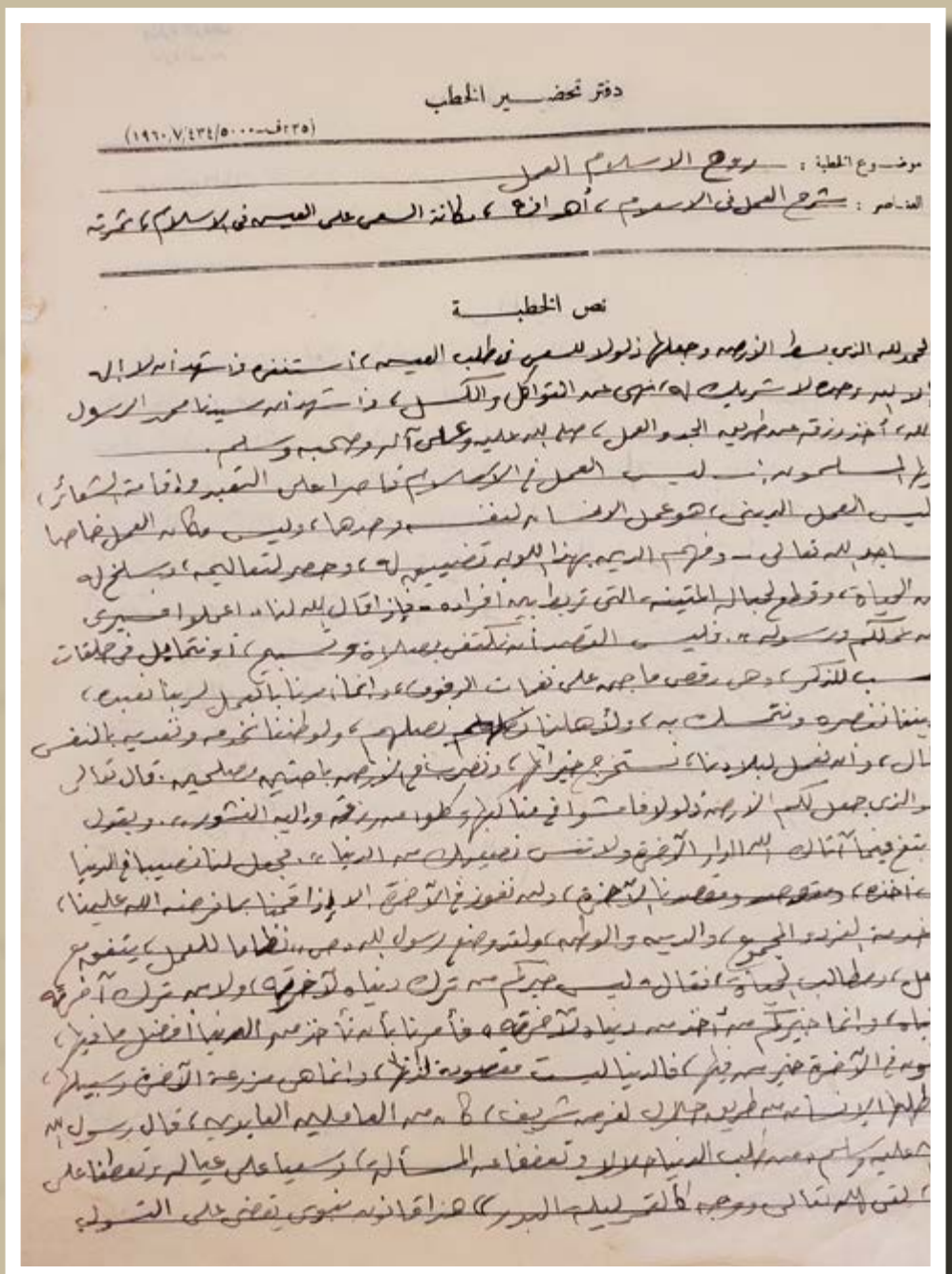

دفتر تحضير الخطب

(٢٥ ف ٥٠٠٠/٤٣٤/٧/١٩٦٠)

موضوع الخطبة : روح الإسلام العمل

العنوان : شرح العمل في الإسلام، أهدافه، مكانة السعي على العيش في الإسلام، ثمرته

نص الخطبة

الحمد لله الذي بعث الأرض وجعلها ذلولا للساعين في طلب العيش، أستفتح ذا شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنهى عن التواكل والكسل، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، أخذ بأرقى حدود الجد والعمل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أيها المسلمون: ليس العمل في الإسلام شاعرا على التعبد وإقامة الشعائر، ليس العمل الديني هو عمل الإنسان لنفسه ومعاشه، وليس مكانة العمل عاليا عند الله تعالى - وفرح الديمة بهذا اللون تضييع له، وحصر لتعاليمه، وسلخ له من الحياة، وقطع لحبال المتينة التي تربط بين أفراده، فإذا قال الله لنا: اعملوا أعمالكم فإن الله ورسوله والمؤمنين سيرون عملكم، وليس التقصد أن نكتفي بصلاة وصوم، أو نتمايل في حلقات الذكر، أو نحفظ ما جمعه على نفقات الوقوف، وإنما يريدنا بالعمل لربنا نفسه، بينما نتعمره ونتصل به، ولذا علمنا أن نصلح عملنا، ولوظفنا نحوه وتقديه بالنفس والمال، وأن نفضل لبلادنا أن تخرج خير أمة، وتضرب في الأرض بأحسن صلحيه، قال تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾، ويقول مشيرا فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، فجعل لنا نصيبا في الدنيا وأخذ، ومقاصد ومقاصد الآخرة، وليس نفوز في الآخرة إلا إذا قمنا بما فرضه الله علينا، فرضه لنزدهر الحرث والنسل والوطن، ولتسود دعوة رسول الله، نظاما للعمل يشفوه من ومطالب فيها وقال: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، وإنما خيركم من أخذ من هذه وتلك، وقال: ما أمرنا بأن نأخذ من الدنيا أفضل ما فيها، وما في الآخرة خير منه فيها، فالدنيا ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مزرعة الآخرة وسبيل طلبها، وإن أنه من طريق حلال لفرضه شريفة، وقد من العاملين الطيبين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة، وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر ليلة البدر، هذا قانونه سبحانه يقضي على الكسول

صورة تذكارية
١٩٥٦/٥/١١م

نبذة عن الباحث : أ.د. بدر محمد أحمد ملك

موقع الانترنت : http://www.badermalek.com

البريد الإلكتروني: bmalek227@gmail.com

حساب التويتر @4bader111

ايميل الهيئة bm.malek@paaet.edu.kw

- بروفيسور في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب-كلية التربية الأساسية-تخصص أصول التربية-الكويت منذ عام 1997م.
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية في مجال التربية لعام 2008 م
- رئيس سابق لقسم الأصول والإدارة التربوية في كلية التربية الأساسية
- مدير سابق لمركز ستيت كولج الإسلامي في أمريكا
- قام بالتدريس في المؤسسات الإصلاحية في أمريكا
- عضو الهيئة التأسيسية والاستشارية في مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية.
- رئيس لجنة الترقيات في كلية التربية الأساسية (للعام الدراسي 2015-2016م)
- رئيس لجنة تظلمات أعضاء هيئة التدريس بكليات الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب (للعام الدراسي 2016-2017).
- رئيس لجنة جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج (2017-2018)
- له أكثر من خمسين دراسة وكتاب منها أربعة كتب دراسية مقررة ومعتمدة في كلية التربية الأساسية.
- مستشار ومحاضر في شركة كنوز ورموز للاستشارات والتدريب.

نبذة عن الباحثة : أ.د. لطيفة حسين علي الكندري

موقع أ.د. لطيفة الكندري https://latefah.net/

dr.latefah@yahoo.com

@LHthinker

1. أستاذ دكتور في كلية التربية الأساسية (2001م – الى الآن)
2. العميدة المساعدة للشئون الطلابية في كلية التربية الأساسية (2016 – إلى الآن)
3. العميدة المساعدة للشئون الأكاديمية في كلية التربية الأساسية (2019 – إلى الآن)
4. مستشارة تربوية في المنظمة العالمية لحماية الطفل مقرها بروكسيل (2018 إلى الآن).
5. مستشارة ومديرة في المركز الإقليمي للطفولة والأمومة (2003م– 2011م)
6. حاصلة على جائزة الدولة التشجيعية في مجال التربية لعام 2008 م
7. حصل موقعها على شبكة 8. الإنترنت على "جائزة سمو الشيخ سالم العلي الصباح للمعلوماتية " عام (2004م).
9. حاصلة على المرتبة الأولى في جائزة الأم المثالية للأسرة المتميزة لعام 2008م
10. خبيرة تربية في برنامج الأمم الإنمائي التابع لهيئة الأمم المتحدة من 2010م– 2012
11. رئيس فريق الحوار التنموي التابع للديوان الأميري 2006
12. لديها مئات المقالات والمقابلات الصحفية وكتبت قرابة خمسين كتابا ودراسة علمية محكمة

ثبت لعدد من المراجع المختارة

1. ابن الجوزي (1422 هـ). زاد المسير في علم التفسير. المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار، الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى (موقع المكتبة الشاملة).
2. ابن العربيّ، محمد عبد الله (1428 هـ - 2007 م). المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك. ط1، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي.
3. ابن العربيّ، محمد عبد الله (بدون تاريخ). القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لأبي بكر بن العربي المعافري. ط1، دراسَة وتحقيق: محمد عبد الله ولد كريم. دار الغرب الإسلامي.
4. ابن حميد، صالح بن عبدالله وآخرون، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ط4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
5. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب (1416 هـ - 1996م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
6. الأحمري، محمد بن حامد (1431هـ-2010). نبت الأرض وابن السماء: الحرية والفن عند علي عزت بيجوفيتش. ط1، مكتبة العبيكان. السعودية.
7. الألباني، محمد ناصر الدين (1406هـ-1986م). صحيح الجامع الصغير وزياداته، ط2. المكتب الإسلامي.
8. البورنو، محمد صدقي بن أحمَد (1424 هـ - 2003 م). مُوْسُوعَة القَواعِد الفِقْهِيَّة. مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.
9. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (1405 هـ). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. ط1، دار الكتب العلمية – بيروت. المكتبة الشاملة.

10. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (1395 هـ - 1975 م). سنن الترمذي. ط2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر.
11. التفسير الميسر (1430هـ - 2009 م). نخبة من أساتذة التفسير الصادر من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، وهي طبعة مزيدة ومنقحة.
12. جبران، جبران خليل (2017). النبي. مؤسسة الهنداوي.
13. الخضير، عبدالكريم. شرح الأربعين النووية. المكتبة الشاملة.
14. الخطب المنبرية، وزارة الأوقاف الكويتية (2011م)، مكتب الشئون الفنية. الكويت.
15. خفاجي، محمد عبدالمنعم - و صبح، علي (2007م) الحركة العلمية في الأزهر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المكتبة الأزهرية للتراث.
16. السمعاني، منصور بن محمد (1418هـ- 1997م). تفسير القرآن. المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى.
17. الشعراوي، محمد متولي (1997م). تفسير الشعراوي (الخواطر). (المكتبة الشاملة).
18. صبح، علي (1423 هـ- 2002م)، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف (ص: 125)، ط1، المكتبة الأزهرية للتراث.
19. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1426 هـ). شرح رياض الصالحين. دار الوطن للنشر، الرياض.
20. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام

بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. الناشر: دار المعرفة – بيروت.

21. العقاد، عباس محمود (2014م). عبقرية عمر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

22. عمر، أحمد مختار عبدالحميد، وآخرون (1429 هـ - 2008 م). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.

23. العينى، بدر الدين (بدون سنة طبع). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

24. الغزالي، محمد (1987). خلق المسلم. القاهرة: دار الريان للتراث.

25. القاري، نور الدين الملا الهروي (1422هـ - 2002م). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان.

26. لاشين، موسى شاهين (1423 هـ - 2002 م). فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، المكتبة الشاملة.

27. مرسي، محمد منير (1425هـ/ 2005م). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. عالم الكتب.

28. ملك، بدر - أبوطالب، خليل محمد (1989م). السبق التربوي في فكر الشافعي. ط1، مكتبة الفلاح: الكويت.

29. ملك، بدر محمد (1412هـ- 1992م). قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم. ط1، مكتبة الصحوة الإسلامية. الكويت.

- ملك، بدر - والكندري، لطيفة – والصالحي، محسن (2010م). المضامين التربوية في فكر الإمام الشافعي. جامعة سوهاج، المجلة التربوية، العدد 28، يوليو 2010م.

30. ملك، بدر - والكندري، لطيفة (1434 هـ = 2013 م). تراثنا التربوي: ننطلق منه ولا ننغلق فيه. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح.
31. المَناوِي، محمد عبد الرؤوف (1356). فيض القدير شرح الجامع الصغير. ط1، المكتبة التجارية الكبرى – مصر. المكتبة الشاملة.
32. المَناوِي، محمد عبد الرؤوف (1408هـ - 1988م). التيسير بشرح الجامع الصغير. ط3، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض.
33. المنيس، وليد (2011م)، الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت.
34. الموسوعة العربية العالمية (2004م). ط2، الرياض.
35. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة. (بدون تاريخ). المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، المكتبة الشاملة.
36. موقع الإسلام سؤال وجواب. المشرف العام على الموقع: محمد صالح المنجد: https://islamqa.info/ar
37. موقع الدرر: السنية: https://www.dorar.net/
38. موقع المحدث: http://www.muhaddith.org/
39. موقع المكتبة الشاملة: shamela.ws
40. النووي. شرح صحيح مسلم. المكتبة الشاملة (shamela.ws).
41. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (1392). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

في هذا الكتاب:
مختارات من خُطَب الْجُمُعَة منذ سِتِّينيّات القرن العشرين

من أجل الحفاظ على ما تم تدوينه من إرْث اجتماعيّ، ومواعظ عامة تتعلق بتربية الفرد المسلم قام أ.د. بدر محمد ملك بالاشتراك مع أ.د. لطيفة حسين الكندري بنشر كتاب إلكتروني جديد بعنوان «من خطب فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب». ينقسم الكتاب إلى ثلاثة مباحث؛ الأول يتضمن لمحة عن حياة الشيخ ونماذج من انتاجاته الفكرية، وفي المبحث الثاني نماذج من الخطب المنبرية للشيخ خليل أبوطالب؛ وجاء المبحث الثالث ليحتوي على ألبوم الذِّكريات ونماذج من خط الشيخ. قام الباحثان بتتبع ثمار غرس الشيخ خليل عبر الأوراق التي كتبها وبذلا جهدها في ترتيب وتحقيق المادة العلمية إذ قاما بتتبع الأحاديث النبوية والإشارة إلى مصادرها في كتب الحديث النبوي والإفادة من كتب شرح الحديث النبوي الشريف خدمة للمادة العملية توثيقا وعرضا.

وهكذا يجمع الكتاب بين دَفّتيه مجموعة رسائل شخصية، وخطب منبرية من ميراث فضيلة الشيخ خليل محمد أبو طالب رحمه الله تعالي (المتوفى عام ٢٠٠٠م) وهو عالم أزهري جليل عُرف بالصلاح وسعة العلم وحسن التعامل مع الناس وشغل نفسه بنشر الخير عن طريق تمتين أواصر العلاقات الإيمانية والاجتماعية والفكرية.